المغامرون الخمسة

ألغاز جديدة

لغز الهاربة الصغيرة

محمود سالم

المغامرون الخمسة

لغز الهاربة الصغيرة

تأليف: محمود سالم

رسوم: شريف الفار

دار الشروق

المغامرون الخمسة

من هم المغامرون الخمسة؟ إنهم أصدقاؤك الذين يتدخلون لحل الألغاز، والإيقاع باللصوص، وإنقاذ المظلومين.

وهم في مثل سنك تقريبًا، والمغامرون هم «محب» وأخته «نوسة»، و«عاطف» وأخته «لوزة». وقد كان هؤلاء الأربعة يقومون بالعمل معًا، ثم انضم إليهم «توفيق» وهو أكبر منهم قليلاً. وقد أطلقوا عليه لقب «تختخ» لأنه سمين.

و«تختخ» ولد ذكي وقد أصبح رئيسًا للمغامرين الخمسة، وهو عقلهم المفكر وبطلهم الشجاع. ويبقى أن نقدم لك «زنجر» الكلب الأسود الذكي.

هؤلاء هم المغامرون الخمسة وكلبهم «زنجر».. أبطال الألغاز التي تحبها.

محمود سالم

(١)
فتاة صغيرة.. مذعورة

لم يكد «تختخ» يستيقظ صباحًا من النوم حتى قفز من فراشه مسرعًا على غير عادته.. فقد كان عنده ما يقوله للمغامرين.. وسرعان ما كان يجري اتصالاته يطلب منهم الاجتماع لمناقشة موضوع مهم.. واتفقوا على الساعة التاسعة في حديقة منزل «محب» و«نوسة».

وعندما استقل دراجته في طريقه إلى قليلًا «محب» كان في ذهنه عشرات الخواطر عما يجب أن يفعله المغامرون في الساعات القادمة.. وهل الموضوع الذي سيرويه لهم سيثير اهتمامهم.. وإذا كان سيثير الاهتمام.. فهل يمكنهم التدخل فيه؟

عندما جلسوا جميعًا في الحديقة.. كانت رياح الخريف تهب على ممرات الحديقة الواسعة فتسقط أوراق الشجر التي تتجمع هنا وهناك في شكل أكوام صغيرة كأنها تنتظر من يحملها بعيدًا.

جلس «تختخ» وعلى وجهه علامات تفكير عميق ثم قال: لقد مررت بتجربة مثيرة أمس!

وسكت لحظات ثم قال: شاهدت فتاة صغيرة يتم القبض عليها بتهمة السرقة وهي ليست سارقة.. فقد رأيت اللص الذي سرق الخاتم الماسي الثمين التي اتهمت بسرقته!

بدأت علامات الاهتمام تبدو على وجوه المغامرين.. حتى «زنجر» أطلق نباحًا قصيرًا كأنه يستعجل بقية حديث «تختخ».

مضى «تختخ» يقول: كان أمس عيد زواج والدي ووالدتي.. وقرر أبي أن يشتري لأمي هدية.. وأن نتعشى معًا خارج البيت.. وقد حاولت كالعادة أن أعتذر عن الخروج ولكن والدي أصر على أن أخرج معهما!

وسكت «تختخ» لحظات ثم قال: والحمد لله أنني خرجت؛ فقد عثرت على لغز قد يقتضي منا وقتًا طويلًا.. فنحن في حاجة إلى إثبات براءة طفلة صغيرة مظلومة!

قال محب: هذا يكفي.. قل لنا ما حدث؟

تختخ: كان ذلك ضروريًا حتى تعرفوا لماذا خرجت أمس.. وماذا حدث!

لوزة: كم عمر هذه الفتاة؟

تختخ: في مثل عمرك تقريبًا يا «لوزة»!

عاطف: من فضلك يا «تختخ» أكمل حديثك فقد شوقتنا!

تختخ: ذهبنا نحن الثلاثة إلى شارع ٩ عند محل المجوهرات الذي اعتدنا شراء هدايانا منه.. وعندما اقتربنا من المحل رأيت سيارة مسرعة تضرب سيدة وتسقطها على الأرض وتهرب.. وكان في يد السيدة حقيبة صغيرة سوداء سقطت بعيدًا عنها.. وتجمع الناس.. ورأيت فتاة صغيرة كانت الأقرب إلى الحقيبة تنحني وتلتقطها.. وفي نفس الوقت تقدم رجل منها ففتح الحقيبة وأخذ ما بها.. بينما بقيت الحقيبة في يد الفتاة الصغيرة!

نوسة: وماذا أخذ منها؟

تختخ: لم أر ماذا أخذ في هذه اللحظة.. ولكني عرفت فيما بعد أنه خاتم من الماس الأبيض كانت السيدة قد اشترته من نفس المحل الذي كنا على وشك أن ندخله!

عاطف: وهل وصل رجال الشرطة؟

تختخ: وصلوا وأمسكوا بالفتاة التي كانت تحمل حقيبة السيدة.. وعندما أخذت السيدة الحقيبة فتشت فيها ثم صاحت: الخاتم.. الخاتم!

وتنهد «تختخ» وقال: وطبعًا أشارت أصابع الاتهام إلى الطفلة الصغيرة!

لـوزة: ولماذا لم تشهد بأنها لم تأخذ الخاتم؟!

تختخ: طبعًا تقدمت للضابط وشهدت أنني شاهدت رجلًا يأخذ شيئًا من الحقيبة!

نوسة: أنت إذن لم تر ماذا أخذ الرجل؟

تختخ: لا لم أر ماذا أخذ.. فقد كنت بعيدًا وكان الظلام قد بدأ يهبط!

قال «محب» بلهفة: وماذا حدث بعد ذلك؟!

تختـخ: اختفى اللص وأمر الضابط أن نذهب جميعًا إلى القسم لكتابة محضر بالحادث.. وركبت الفتاة الصغيرة في سيارة الشرطة مع بعض الشهود والسيدة التي سرق منها الخاتم ووافق الضابط على أن أركب سيارة أبي لتوصيلي إلى القسم!

نوسـة: وذهبت إلى القسم؟

تختـخ: طبعًا ولكن الفتاة لم تحضر!

عاطف: كيف؟!

تختخ: علمنا في القسم أن سيارة الشرطة تعرضت لحادث.. واختفت الفتاة الصغيرة التي عرفوا أن اسمها «أميرة»!

لـوزة: كيف اختفت.. هل هربت؟

تختخ: أظن ذلك.. لقد كانت مذعورة ولعلها خافت من فكرة دخولها القسم ففضلت الهرب!

محب: وبعدها؟

تختخ: أدليت بأقوالي وانصرفت!

محب: والسيارة التي ضربت السيدة؟

تختخ: لقد عرفوا رقم السيارة من أحد الشهود وهم يبحثون عنها!

نوسة: هل تظن أن لهاعلاقة بحادث السرقة؟

تختخ: ربما!

نوسة: لوكان لها علاقة بسرقة الخاتم؛ فسوف يمكن العثور على الرجل الذي سرقه!

تختخ: ربما!

ساد الصمت لحظات وكل واحد من المغامرين الخمسة يحاول أن يجد دورًا لإنقاذ الفتاة البريئة.. ولكن المهم هو العثور عليها أولًا.

فجأة قالت نوسة: هل قرأ أحدكم صحف اليوم؟

ردوا جميعًا في نفس واحد: لا. لم يتسع الوقت.

نوسة: سوف أحضرها من الداخل فهي تصل إلى أبي يوميًا.. وقد يكون فيها شيئًا عن الحادث!

أسرعت «نوسة» لإحضار الصحف وقالت «لوزة»: هل تهتم الصحف بهذا الحادث البسيط؟

تختخ: سنرى!

لـوزة: ما هو شكل الفتاة يا «تختخ»؟

تختخ: فتاة جميلة.. نحيلة.. سوداء الشعر والعينين.. تبدو ذكية.. وترتدي ملابس بسيطة!

لوزة: واللص ما شكله؟!

تختخ: رجل ضخم.. غزير الشعر.. ويبدوأنه مصاب في رجله أويضع ساقًا صناعية؛ فقد لاحظت أنه يعرج وهو يبتعد مسرعًا!

لـوزة: ولماذا لم تطارده؟

تختخ: لقد تم كل شيء في لحظات، وتجمع الناس واختفى هو في الزحام!

وصلت «نوسة» ومعها صحف الصباح.. وكانت الحادثة منشورة.. وقد اهتمت الصحف باختفاء «أميرة» الصغيرة وقالت إنها ربما تكون ضمن عصابة من اللصوص.. وإنهم كانوا يعرفون بأن السيدة سوف تشتري الخاتم الثمين فدبروا حادث السيارة لسرقة الخاتم.

قالت «لوزة» فجأة: لم تقل لنا هل اشترى والدك الهدية لوالدتك؟

تختخ: نعم.. عدنا إلى المحل.. وقابلنا صاحبه وهوصديق والدي.. وعرفنا أن الخاتم المسروق ثمنه نحوعشرة آلاف جنيه!

قال «عاطف»: وهل تناولتم الطعام خارج البيت؟

رد «محب» بالنيابة عن «تختخ»: طبعًا.. وهل يضيع «تختخ» مثل هذه الفرصة؟!

ساد الصمت مرة أخرى وقالت «نوسة»: ماذا سنفعل؟

تختخ: في رأسي خطة بسيطة للبحث عن «أميرة» وعن اللص الذي سرق الخاتم.

نظر إليه المغامرون ورفع «زنجر» رأسه.. ومضى «تختخ» يقول: سنقوم بجولات مستمرة بالدراجات لعلنا نعثر على أميرة أو الأعرج!

لـوزة: ولكن أنت تعرف شكلهما.. نحن لا نستطيع أن نبحث عن شخص لا نعرفه؟

تختخ: معك حق يا «لوزة» كيف نحل هذه المشكلة؟

نوسـة: لي صديقة رسامة ممتازة يمكن أن تساعدنا!

لوزة: كيف؟

نوسة: يقوم «تختخ» بوصف الفتاة الصغيرة والأعرج وتقوم «فريدة» برسمهما حسب الأوصاف.

عاطف: هيا نسرع بهذه العملية قبل أن تختفي ملامحهما من ذهن «تختخ»!

نوسة: يمكن أن نتصل بها فورًا!

قامت «نوسة» للاتصال بصديقتها «فريدة» في نفس الوقت الذي ظهر فيه الشاويش «فُرْقُعْ» من باب الحديقة وهو يركن دراجته.

(٢)
الأسرة الطيبة

كان «زنجر» أول المتعاملين مع الشاويش.. فقد قفز مسرعًا ليتعامل مع سروال الشاويش كالمعتاد.. وتركه «تختخ» حتى اقترب من الشاويش ثم صاح: زنجر..

فهم «زنجر» التحذير فلم يقم بالمهمة المعتادة.

وقال «تختخ»: صباح الخير يا شاويش «علي».

الشاويش: هذا الكلب الأسود اللعين..

تختـــخ: دعك من «زنجر» الآن يا حضرة الشاويش.. ماذا وراءك؟

الشاويش: أنت تعرف.

تختـــخ: لا.. لا أعرف.

الشاويش: الخاتم الماسي.

تختـــخ: ماذا عن الخاتم الماسي.. هل تتهمني أنني أخذته؟

الشاويش: لم أقل هذا.

تختـــخ: إذن ماذا تريد بالضبط؟!

الشاويش: أريد أن أسمع أقوالك عن الحادث.

تختـــخ: لقد أدليت بأقوالي في القسم.. وتستطيع أن تطلع عليها.

الشاويش: أليس عندك ما تضيفه؟

تختـــخ: لقد قلت ما عندي..

التفت «تختخ» إلى «نوسة» وقال: أسرعي يا «نوسة» إلى صديقتك «فريدة» الرسامة!

اتجهت «نوسة» لتستقل دراجتها ثم خرجت من باب الحديقة.. ولاحظ الجميع أن الشاويش «فُرْقُعْ» أسرع إلى دراجته وأنه تبع «نوسة»، فقد أدرك أن مهمة «نوسة» لها علاقة بسرقة الخاتم.

لاحظت «نوسة» أن الشاويش يتبعها فقررت أن تضلله.. وكانت لها صديقة تسكن قريبًا منها عندها كلب من نـوع

«رود فايلر» المتوحش.. فاتجهت إلى هناك.. وكان الكلب يعرفها ولا يهاجمها ففتحت باب الحديقة وأقبل عليها الكلب المتوحش وهو يطلق نباحه المرعب، وكان الشاويش «علي» قد اقترب ولكنه لم يكد يرى الوحش مقبلًا عليه والزَّبَد يتناثر من فمه حتى أسرع بالفرار!

ظلت «نوسة» دقائق في حديقة ڤيلَّا صديقتها ثم نظرت من خلال الباب إلى الشارع ولكن الشاويش كان قد اختفى.

في حديقة منزل «نوسة» و«محب» ظل اجتماع المغامرين منعقدًا؛ فهم جميعًا يريدون الاشتراك في إنقاذ «أميرة» الصغيرة والإيقاع باللص الذي أطلقوا عليه اسم «عليجة».

* * *

وفي هذه الأثناء كانت الهاربة الصغيرة تجلس بجوار محل «كارفور» الضخم.. كانت نائمة قرب سيارة ضخمة من طراز «مرسيدس»؛ فقد قضت طول الليل وهي تسير وتجري خائفة بعد القبض عليها من الشرطة واتهامها بسرقة الخاتم «الماسي».

رغم أنها كانت نائمة فقد كانت ترتعش جوعًا.. وبردًا..

وتعبًا.. تهاجمها الكوابيس، وترى الرجل الذي انتزع الخاتم من الحقيبة ونظر إليها بعينيه الشريرتين.

وصل صاحب السيارة المرسيدس وزوجته وابنته يحملون البضائع التي اشتروها من «المول» الضخم.. وعندما توقف رب الأسرة ليفتح باب السيارة وضع ما يحمل جانبًا ففوجئ بالفتاة الصغيرة وهي تبكي وتتنهد وهي نائمة.

توقف مندهشًا ثم قال لزوجته: انظري يا «مروة» فتاة تبكي وهي نائمة!

نظرت «مروة» إلى الفتاة وأحست بِغُصَّة في حلقها.. إنها في مثل سن ابنتها «نبيلة».. التي ما كادت ترى الفتاة النائمة الباكية حتى أسرعت إليها وقالت: مالك يا أختي!

قالت الزوجة: لنأخذها معنا إلى البيت.. من الواضح أنها تائهة.. وبعدها نبحث عن أسرتها.

قالت نبيلة: نعم يا ماما.. أنت إنسانة رائعة.

فتح الأستاذ «أكرم» السيارة، وحمل الفتاة ومددها في المقعد الخلفي وجلست بجوارها «نبيلة» التي كانت في مثل سنها وجلست «مروة» بجوار زوجها وانطلقت السيارة الفاخرة.

مع حركة السيارة استيقظت «أميرة» ونظرت حولها وأدهشها ما رأت.. وأخذت تنظر إلى الفتاة الجالسة بجوارها دون أن تنطق بحرف.. كان ذهنها مشلولًا تقريبًا بعد الحادثة التي مرت بها.. وبعد عشرٍ دقائق دخلت السيارة من باب ڤيلّلا ضخمة تحمل اسم ڤيلّلا «نبيلة»!!

* * *

عادت «نوسة» ومعها صديقتها الرسامة البارعة «فريدة».. وبعد أن توقف الأصدقاء روى لها «تختخ» باختصار ما حدث وقال: إن المغامرين الخمسة قرروا البحث عن «أميرة» المتهمة بالسرقة ظلمًا.

كانت «فريدة» سعيدة بالتعرف على المغامرين الخمسة، وكانت قد أحضرت معها أوراق الرسم والأقلام.. وبدأ «تختخ» يصف «أميرة» فقال: إنها نحيلة.

قالت «لوزة» على الفور: ما معنى نحيلة؟

تختخ: يعني نحيفة.

لـوزة: وما معني نحيفة؟

تنهد «تختخ» متضايقًا ولكنه ابتسم وقال: معناها رفيعة

ومضى «تختخ» يقول: إنها نحيلة.. أونحيفة.. أورفيعة..

سمراء.. شعرها أسود..ولعل لها عيونًا سوداء.. أنفها بارز.. وفكر «تختخ» قليلًا ثم قال: إنها أطول قليلًا من «لوزة».. وكانت ترتدي بلوزة.

لـوزة: ما معنى ترتدي؟

قال «تختخ» متنهدًا: مالك يا «لوزة» اليوم؟

لـوزة: ألن أشترك معكم في البحث عنها؟

تختخ: طبعًا!

لـوزة: إذن أريد أن أعرف كل شيء!

تختخ: طيب.. ترتدي معناها تلبس!

فريدة: وبقية الملابس؟

تختخ: لست متأكدًا.. ولكن في الأغلب كانت تلبس بنطلون رماديًا أوأسود وبلوزة خضراء

فريدة: هل ذقنها عريض أو رفيع؟

تختخ: على ما أذكر كان ذقنها رفيعًا.

كانت «فريدة»تدوِّن ملاحظاتها ثم قالت: هل هناك تفاصيل أخرى؟

تختخ: لا!

فريدة: إذن ما هي ملامح الرجل الشرير؟

نوسة: تقصدين «عليجة»؟

فريدة: اسمه «عليجة»؟

محب: نحن سميناه بهذا الاسم.. وأظن أنه تعبير شعبي عن الأعرج!

فريدة: ما هي أوصافه يا تختخ؟

تختخ: لقد رأيته في لحظات خاطفة.. وما أذكره أنه كان طويل القامة.. طويل الشعر.. حاد النظرات يلبس ملابس «كاچوال» داكنة اللون أي غامقة.. حتى لا تسألني «لوزة» عن معنى داكنة.

ابتسم المغامرون وضحكت «فريدة» وقالت: هذا يكفي وسوف أقدم لكم غدًا رسمًا كروكيًا.

صاحت لوزة: ما معنى كروكي؟

نوسة: معناه رسم أولي أو مبدئي أو مجرد خطوط أو هو بداية.

وودعت «فريدة» الأصدقاء وساروا معها.. وبعد أن عادوا

إلى أماكنهم قالت «نوسة»: بالمناسبة يا «تختخ» هل رآك هذا الرجل «عليجة»!

رد «تختخ»: نعم.. وقد التقت نظراتنا للحظات.

نوسة: هذا يعني أنه قد يعتبرك شاهدًا خطرًا عليه.

تختخ: أظن ذلك.

عاطف: في هذه المسألة لا بد أن نأخذ حذرنا..فهذا اللص قد يكون قاتلًا في الوقت نفسه!

تختخ: إنني لا أخشاه!

نوسة: لا داعي للبطولات يا «تختخ». وأتفق مع «عاطف» أننا يجب أن نأخذ حذرنا!

لم يرد «تختخ» ولكنه أحس فعلًا أن المسألة قد لا تكون بالبساطة التي يتخيلها.

* * *

وفي تلك الأثناء كانت السيدة «مروة» قد أعدت كوبًا من الكاكاو باللبن أخذت تسقيه «أميرة» وهي تقول: إن هذه المسكينة تكاد تموت من الجوع.. ولا بد أن نبدأ بسوائل دافئة قبل أن نقدم لها الطعام!

قال الأستاذ «أكرم»: أليس من الواجب أن نبحث عن أهلها؟ أونبلغ الشرطة؟

مروة: طبعًا.. سوف نبحث عن أهلها أولًا فقد يكونون قريبين منا.. فإذا لم نجدهم فسوف نبلغ الشرطة.. ولكن المهم الآن هو أن ننقذ حياتها فهي تكاد تموت من الجوع والتعب!

(٣)
أسئلة بلا أجوبة

في صباح اليوم التالى اجتمع الأصدقاء في مقرهم المعهود.. كانوا جميعًا في أشد الشوق إلى رؤية الرسومات التي أعدتها الرسامة «فريدة» صديقة «نوسة».

وقد حضرت «فريدة» في موعدها وتجمع المغامرون حولها في لهفة لمشاهدة الرسومات.. وكان مهمًا رأي «تختخ» لأنه الوحيد بينهم الذي رأى «أميرة» الهاربة الصغيرة والمجرم الأعرج الذي أطلقوا عليه «عليجة».

تأمل «تختخ» الرسومات لحظات.. وأعجبته.. ولكن طلب بعض التعديلات.. منها شعر الحاجبين عند «عليجة».. وطلب تكثيف الشعر.. وكذلك الرقبة.. وطلب أن تكون أطول.. أما بالنسبة لرسم وجه «أميرة» فقد طلب أن يكون أكثر سُمْرَةً.. وقامت «فريدة» بإجراء التعديلات المطلوبة.. وبعد ساعة من العمل كانت هناك صورتان واضحتان للهاربة الصغيرة وللمجرم «عليجة».. وأسرع «محب» إلى

محل التصوير المجاور وقام بتصوير عشر نسخ من كل صورة.. وعندما عاد قاموا بطريقة علمية بإعداد خريطة بسيطة «للمعادي».. ثم قاموا بتقسيمها إلى ثلاث مناطق؛ يتولى «محب» و«نوسة» المنطقة (أ).. و«عاطف» و«لوزة» المنطقة (ب).. أما المنطقة الثالثة فقد طلبت «فريدة» أن تتولى هي البحث فيها خاصة أن منزلها يقع في نطاقها.

قالت «لوزة»: هل نخطر المفتش «سامي»؟

رد تختخ: لقد سألت عنه أمس وعلمت أنه مسافر في مهمة خارج «مصر».

لوزة: إذن لا بد أن نعتمد على أنفسنا.

محب: نحن نعتمد على أنفسنا دائمًا يا «لوزة».. ونحن نلجأ إلى المفتش عندما نجد أن ما نواجهه فوق طاقتنا.. وهذه المهمة ليس فيها مشكلة؛ فكل ما علينا أن نقوم بجولات على الدراجات لعلنا نصل إلى «أميرة».. أو«عليجة».

وأضافت «نوسة»: وعلى كل حال فهناك محضر في الشرطة وسوف يقوم رجال الشرطة بواجبهم في البحث عن «أميرة» وعن «عليجة» كما وصفه «تختخ»، وقد يصلون إلى أحدهما أو

كليهما قبل أن نصل نحن.. وفي هذه الحالة سوف يأتي الشاويش «علي» ويتباهى علينا بأنهم وصلوا قبلنا!

عاطف: ومتى نبدأ؟

تختخ: لقد بدأنا فعلًا.. وسوف يستمر البحث صباحًا ومساءً حتى نصل إلى واحد منهما!

* * *

في تلك الأثناء كانت «أميرة» في منزل الأستاذ «أكرم» وزوجته السيدة «مروة» وابنتهما الصغيرة «نبيلة».. وقد قامت السيدة الكريمة «مروة» بوضعها في الغرفة المجاورة لغرفة «نبيلة».

وقالت السيدة «مروة»: إنها في غيبوبة!

أكرم: هل نحضر طبيبًا؟

مروة: أظن أننا إذا أطعمناها وأخذت حمامًا دافئًا وغيرنا لها ثيابها المتسخة فسوف تكون علىَ ما يرام.

نبيلة: من فضلك يا ماما دعيني أساعدك في العناية بهذه الفتاة!

مروة: طبعًا يا حبيبتي!

أكرم: ولكننا لا نعرف اسمها.. أو أهلها..

مروة: عندما تفيق سوف نعرف عنها كل شيء.

وقامت «مروة» و«نبيلة» بأخذ «أميرة» إلى الحمام حيث قامتا بإعطائها حمامًا دافئًا واستبدال ثيابها بثياب نظيفة من دولاب «نبيلة».. ثم قامت «مروة» بإعداد ساندوتش من البيض تناولته «أميرة» وهي لا تزال بين اليقظة والمنام.. ثم بعد أن تناولته عاودت النوم وقد بدت على وجهها علامات الارتياح!

خرج الأستاذ «أكرم» لبعض أعماله.. وانهمكت السيدة «مروة» مع طاقم الشغالين في عمليات التنظيف وإعداد الطعام؛ بينما ظلت «نبيلة» جالسة بجوار فراش «أميرة» تراقبها وهي نائمة ولاحظت أنها تستيقظ أحيانًا وقد بدت على وجهها علامات الرعب والخوف.. وتنظر حولها في دهشة ثم تعاود النوم.

ولما طال نوم «أميرة» قامت «نبيلة» لتستذكر بعض دروسها وتركتها نائمة.

ظلت «أميرة» نائمة حتى الساعة الثانية بعد الظهر.. وكانت «نبيلة» تمر عليها بين الحين والحين لتطمئن عليها..

فلما وجدتها مستيقظة أقبلت عليها مبتسمة وقالت: صباح أو مساء الخير.

أخذت «أميرة» تنظر إلى «نبيلة» نظرة حائرة ولا ترد.. فقالت «نبيلة»: اسمي «نبيلة» وأنت الآن في بيتنا.

لم ترد «أميرة» ولا تزال عيناها حائرتين، فعادت «نبيلة»تقول: لقد وجدناك نائمة بجوار سور محل «كارفور» فأحضرناك إلى منزلنا.

لم ترد «أميرة» فقامت «نبيلة» تمسك بيدها وتقول: مالك؟!

لم ترد «أميرة» ولكنها نزلت من الفراش وأخذت تنظر حولها في دهشة.. ثم أخذت تتمتم: أنا لم أسرق الخاتم.. أنا لم أسرق الخاتم.

نبيلة: أي خاتم؟

أميرة: لم أسرق الخاتم!

أسرعت «نبيلة» إلى والدتها وقالت: ماما.. لقد استيقظت «أميرة» وهي تردد أنها لم تسرق الخاتم.

قالت السيدة «مروة»: أي خاتم؟

نبيلة: لا أدري يا ماما.

أسرعت السيدة «مروة» مع ابنتها إلى الغرفة.. ووجدتا أميرة تسير في الغرفة وهي تردد نفس الجملة: أنا لم أسرق الخاتم.. سرقه الرجل الأعرج.

أخذت السيدة «مروة» تهدئ الفتاة الصغيرة المرتعدة وسألتها: ما اسمك يا حبيبتي؟

لم ترد «أميرة» وأخذت تهذي: أنا لم أسرق الخاتم.

قالت السيدة «مـروة» وهي تقودها إلى مقعد بجوار الفراش: اهدئي يا حبيبتي وقولي لنا اسمك!

قالت أميرة: اسمي..

مروة: نعم.. ما اسمك؟

بدت على وجه «أميرة» علامات التفكير العميق وأخذت تردد.. اسمي.. اسمي.. أنا لم أسرق الخاتم.

مروة: أنا لا أسألك عن الخاتم يا ابنتي.. أسألك عن اسمك.

لم ترد «أميرة» فقالت «مروة»: اسم والدك.. أو والدتك.. أو عنوانك.. أين تسكنين؟

لم ترد «أميرة» فقالت «مروة»: إنها لا بد واقعة تحت تأثير صدمة عصبية!

قالت «نبيلة» والدموع تملأ عينيها: وماذا نفعل يا ماما؟!

فكرت «مـروة» قليلًا ثم قالت: سنحضر لها طبيبًا متخصصًا ليرى ما هي الحكاية؟

نبيلة: الآن يا ماما من فضلك!

مروة: ننتظر حتى يحضر والـدك.. وسأعد لها بعض الطعام.. فكوني بجانبها!

أخذت «نبيلة» تحاول استدراج «أميرة» للكلام وقالت لها: قولي لي اسمك يا صديقتي.. إنني أحبك وأحاول أن أساعدك.

بدت ملامح «أميرة» تكتسي ينوع من الهدوء، فقامت «نبيلة»واحتضنتها وأخذت تربت على كتفها.. وفجأة انتابت «أميرة» نوبة من البكاء الشديد.. وأخذ جسمها ينتفض و«نبيلة» تحتضنها بشدة.. وأخذت دموع الفتاة الصغيرة تنهمر كالمطر.. وهي ترتعد.. وظلت «نبيلة» تحتضنها حتى هدأت ثم أحضرت منديلًا وأخذت تجفف دموعها.

دخلت السيدة «مروة» وهي تحمل صينية عليها الطعام ووضعتها على مائدة صغيرة بجانب الكرسي الذي تجلس عليه «أميرة» وقالت: والآن.. كلي يا حبيبتي وبعدها نتحدث.

جلست «أميرة» صامتة ولم تمد يدها إلى الطعام فقالت «نبيلة» في مرح: تَعَالَيْ نأكلْ معًا.

ثم حملت الصينية وخرجت وخلفها «أميرة» وجلستا معًا إلى مائدة الطعام الكبيرة وأسرعت «نبيلة» فأحضرت طعامها.. وبدأتا تأكلان معًا.

في هذه اللحظة حضر الأستاذ «أكرم» من الخارج وحيا الفتاتين ثم سأل عن زوجته التي حضرت على الفور فأخذها جانبًا وأخذ يحدثها باهتمام!

وبدت علامات الوجوم على وجه السيدة «مروة» وهمست في أذن زوجها ببضع كلمات.

(٤)
الرجل الأعمى

استيقظت أسرة الأستاذ «أكرم» في الصباح.. وأسرعت «نبيلة» إلى غرفة «أميرة» لإيقاظها.. ولكن كانت هناك مفاجأة في انتظارها فلم تكن «أميرة» موجودة في غرفتها.. ووجدت «نبيلة» ورقة صغيرة أخذت تقرأ ما فيها:

العزيزة نبيلة..

أشكرك أنت وأسرتك على كل ما فعلتموه من أجلي.. ولكني لا أستطيع البقاء فقد سمعت والدك أمس يتحدث إلى والدتك العزيزة ويقول لها إنه سيبلغ الشرطة عني هذا الصباح.. وأنا هاربة من الشرطة بتهمة أنا بريئة منها.. أنا مظلومة يا «نبيلة»وأرجو أن أراك مرة أخرى لأروي لك الحكاية..

صديقتك المسكينة

أميرة

وكانت «أميرة» قد استيقظت في الصباح الباكر.. وخلعت ثياب «نبيلة» التي كانت تلبسها ولبست ثيابها القديمة ثم تسللت من باب المطبخ الخلفي إلى الحديقة ثم صعدت إلى شجرة وتجاوزت السور إلى الطريق وعادت تسير دون أن تدري إلى أين تذهب.

* * *

في ذلك الصباح اجتمع المغامرون الخمسة ووضعوا خطة البحث عن «أميرة».. وعن «عليجة» فقاموا بتقسيم «المعادي» إلى ثلاثة أقسام.. ذهب «تختخ» و«زنجر» إلى القسم الشمالي.. وذهب «محب» و«نوسة» إلى القسم الغربي.. بينما كان على «عاطف» و«لوزة» التجول في وسط «المعادي».

لم تمض دقائق حتى جاءت مفاجأة لم تكن في الحسبان.. فقد مرت «نوسة» و«محب» بثيلًا صديقة «نوسة» الرسامة «فريدة» التي كانت تقف في شرفة الثيلًا تتحدث في التليفون فلم تكد ترى «نوسة» و«محب» حتى أشارت لهما بالتوقف.

نزلت «فريدة» إلى الدور الأرضي وفتحت الباب ثم أشارت لهما بالدخول..

قالت «فريدة»: صباح الخير.. لقد وجدت «أميرة»!!

بدت علامات الدهشة الممزوجة بالفرح على وجهيْ «نوسة» و«محب».

نوسة: وَجَدْتِها أين؟

فريدة: وجدتها عند صديقتي «نبيلة».. فقد حدثتني «نبيلة» أمس عن فتاة صغيرة تشبه «أميرة» إلى حد بعيد عثروا عليها بجوار جراج «كارفور» وقد أحضروها إلى المنزل، وكانت نائمة عندما حدثتني «نبيلة».

نوسة: من فضلك اتصلي بها واسألي عن حالة «أميرة»!

فريدة: إنني أتصل بها منذ الصباح.. ولكن تليفونها مشغول دائمًا!

نوسة: أين منزل «نبيلة»؟

فريدة: إنها ثيلًا قريبة من هنا.

نوسة: إذن سنذهب إليها.

فريدة: انتظرا فسوف أذهب معكما.

بعد دقائق كان الثلاثة يسرعون إلى ثيلًا «نبيلة» ولكنهم ما كادوا يصلون إليها حتى شاهدوا الشاويش «فُرْقُعْ» يخرج

منها مع أحد الضباط.. ولم يكد الشاويش يراهم حتى صاح كالمعتاد: ماذا تفعلون هنا؟!

محب: لا نفعل شيئًا يا شاويش.. إننا نتريض على دراجاتنا.

الشاويش: لا.. إنكم عرفتم أن الهاربة كانت موجودة هنا.

نوسة: كانت موجودة.. إذن هي ليست موجودة الآن!

الشاويش: لن أقول لكم ما حدث.. هيا انصرفوا من هنا.

تظاهر الأصدقاء الثلاثة بالانصراف.. وما كاد الشاويش والضابط ينصرفان حتى دقوا جرس الباب وطلبوا مقابلة «نبيلة».

كانت «نبيلة» منفعلة جدًا.. وقد بدت آثار دموع على وجهها فسألتها صديقتها فريدة: ماذا حدث يا «نبيلة»؟!

ردت «نبيلة»: لقد عثرنا على فتاة مغمى عليها بجوار محل «كارفور» فأحضرناها إلى البيت، واهتمت والدتي بتغذيتها حتى أفاقت واستردت وعيها.. وقد سألناها عن اسمها وعنوانها ولكنها لم ترد.. وقد قرر أبي إخطار الشرطة حتى يبحثوا أمرها.. فلما أحست «أميرة» ـ وقد عرفت اسمها من صحف اليوم ـ أن أبي سيبلغ الشرطة، هربت.

محب: هربت منذ متى؟

نبيلة: أظن أنها هربت في الصباح الباكر.. ربما في السادسة صباحًا، وقد تركت لي رسالة رقيقة تودعني فيها.

وأظهرت «نبيلة» الرسالة وقرأتها على الثلاثة.

نظرت «نوسة» إلى ساعتها وقالت: الساعة الآن العاشرة أي أنها هربت منذ ثلاث أو أربع ساعات.

فريدة: وهل أبلغ والدك الشرطة؟

نبيلة: نعم.. أبلغهم في الصباح، ولكن «أميرة» هربت قبل أن يحضروا.

نوسة: إذن سنستمر في البحث!

* * *

في هذه الأثناء كانت «أميرة» تسير وقد أرهقها التعب ووقفت على رصيف الشارع لا تدري إلى أين تتجه.. كان كل همها أن تهرب كلما شاهدت أحد رجال الشرطة.. كانت مرعوبة من أن يقبضوا عليها بتهمة السرقة وهي بريئة، ولكن كيف تثبت براءتها وقد شهد الذين حضروا الحادث أنها هي التي كانت تمسك بحقيبة السيدة التي تم سرقة خاتمها الثمين منها.

كانت رأسها الصغيرة تدق وتـدور.. لقد نسيت كل شيء حتى عنوان أسرتها ولم تعد تتذكر إلا حادث السرقة الذي وقعت ضحية له.. وخوفها من الشرطة.. ومن الرجل الشرير الضخم الذي سرق الخاتم.. إنها هي الشاهدة على السرقة ولكنها تخاف أن تتحدث.. فهذا الرجل الشرير توعدها بالقتل إذا هي تحدثت.. وهي تحس طوال الوقت أنه يطاردها من شارع إلى شارع.. ومن حارة إلى أخرى.. وبينما هي غارقة في خواطرها السوداء أحست بيد توضع على كتفها.. يد قوية دفعت الرعب في أوصالها فصاحت: أنا مظلومة.. أنا مظلومة.

لقد ظنت أنه الرجل الشرير.. أو أحد رجال الشرطة.. ولكنها سمعت صوتًا هادئًا يقول: إنني أعمى.. أريد من يقودني لأعبر الشارع.

نظرت إلى المتحدث فوجدت رجلًا طويل القامة.. يلبس نظارة سوداء.. ويمسك بعصا في يده.. وعاد الرجل يقول: من فضلك أريد أن أعبر الشارع.

قالت أميرة: سأسير معك يا سيدي.

الرجل: باركك الله يا ابنتي.

أخذت «أميرة» تنظر يمينًا ويسارًا حتى تخف حركة

المرور وتستطيع السير ومعها الرجل الأعمى الذي قال: اسمي «شاكر» فما هو اسمك يا ابنتي؟

كانت «أميرة» قد أحست بالاطمئنان إلى الرجل فلم تتردد وهي تذكر اسمها: اسمي «أميرة»!

شاكر: وأنتِ أميرة فعلًا.. أين تسكنين؟

ترددت «أميرة» لحظات فهي لا تذكر بالضبط عنوانها بعد الأحداث التي مرت بها فقالت ببساطة: لا أعرف.

شاكر: أنت تائهة إذن!

أميرة: نعم!

شاكر: إذن تَعَالَيْ معي حتى نرى ماذا نستطيع أن نفعل لأعيدك إلى أسرتك.

* * *

في هذه الأثناء كان المغامرون الخمسة يقطعون طرقات المعادي في كل اتجاه دون أن يعثروا على أثر لأميرة.. وعندما حان وقت الغداء عادوا إلى منازلهم على أن يلتقوا في المساء.

كان لقاء المساء حزينًا.. فقد كانت نتائج البحث كلها سلبية.. وقالت «لوزة»: يجب أن نتصل بالمفتش «سامي».

محب: فعلًا هذا هو الحل.. فقد تكون الشرطة قد قبضت عليها وهي الآن في الحبس بينما نحن نبحث عنها في الشوارع.

تختخ: أعتقد إنه لوتم القبض عليها لنشر ذلك في الصحف...

نوسة: وكان الشاويش «فُرْقُعْ» يقف الآن عند باب الحديقة ليتباهى علينا.

عاطف: ويسخر منا..

وارتفع نباح «زنجر» مؤيدًا هذا الكلام.. وقامت «نوسة» لتتصل بالمفتش «سامي» ثم عادت تقول: المفتش «سامي» مسافر لا يزال في مهمة خارج «مصر».

ساد الصمت الاجتماع.. فقد أصبح واضحًا أن المغامرين الخمسة وصلوا إلى طريق مسدود.. وفجأة تحدث «تختخ» قائلًا: إننا في حاجة إلى مساعدة من نوع آخر.

محب: ما هي؟

تختخ: نريد شبكة من الأصدقاء تتعاون معنا.

نوسة: كيف؟

تختخ: إن لنا أصدقاء كثيرين.. لماذا لا نتصل بهم ونشرح لهم الموقف ونطلب منهم مساعدتنا في البحث عن «أميرة»؟!

ورفع المغامرون أيديهم بالموافقة.. وكذلك نبح «زنجر» مؤيدًا!

(٥)
مطاردة في الظلام

وجدت «أميرة» الإحساس بالأمن الذي افتقدته منذ حادثة سرقة الخاتم.. فقد كان الأستاذ «شاكر» رقيقًا.. وحنونًا حتى أَنِسَتْ إليه.. وقد قال لها إنه يقيم وحده بعد وفاة زوجته وسفر أبنائه للعمل في الخارج.. وليس هناك سوى شغالة تأتي كل يوم من الصباح للمساء تقوم بتنظيف المنزل وإعداد الطعام وأنها سيدة طيبة واسمها «محبوبة».

عندما وصلا إلى حيث يسكن الأستاذ «شاكر» فؤجئت «أميرة» أنه يسكن في عمارة فخمة.. ولاحظت أن البواب انتفض واقفًا عندما ظهر الأستاذ «شاكر».. وأسرع لإحضار المصعد.

صعدا إلى الدور الرابع حيث يسكن الأستاذ «شاكر» الذي دق الجرس وسرعان ما فتحت الشغالة «محبوبة».. وهي سيدة سمراء سمينة تشع الطيبة من وجهها.

قال الأستاذ «شاكر» على الفور: يا ست «محبوبة».. هذه ضيفتنا الصغيرة «أميرة».. سوف تقيم عندنا بعض الوقت لأنها تائهة ولا تجد أسرتها.

قالت السيدة الطيبة: مرحبًا يا ابنتي.

شاكـــر: أريـدك أن تنـزلي معها لتشتري لها بعض الملابس المناسبة.

محبوبة: نشتري من محل «لاكي» عند أول الشارع، فعنده «أوكازيون».

شاكر: أنت حرة.. سأحضر لك الفلوس.

تدخلت «أميرة» قائلة: هل يمكن تأجيل النزول.. أنا متعبة جدًا وفي حاجة إلى الراحة.

محبوبة: معك حق يا ابنتي.. وقداقتربت ساعة الغداء.. ادخلي الحمام واغتسلي وسيكون الطعام جاهزًا بعد ربع ساعة.

خرجت «أميرة» بعد أن غسلت وجهها ويديها إلى غرفة المائدة وهي تكاد تسقط من الجوع..كانت المائدة عامرة بالطعام فانهمكت «أميرة» في الأكل على الفور بينما كان الأستاذ «شاكر» ودادة «محبوبة» يرمقانها وهما يبتسمان..

فلما لاحظت «أميرة» نظراتهما توقفت عن الأكل.. ولكن الأستاذ «شاكر» قال لها: استمري يا «أميرة» أنا سعيد أنك تأكلين بحريتك!

وقد أدهش «أميرة» أن الأستاذ «شاكر» ينظر إليها وكأنه يراها.. وأنه طلب منها الاستمرار في الأكل عندما توقفت.

بعد الغداء بساعتين وقد مالت الشمس للمغيب نزلت «أميرة» مع دادة «محبوبة» لشراء بعض الملابس كما طلب الأستاذ «شاكر»، وقد نزلت «أميرة» مرغمة وخائفه فقد يراها أحد رجال الشرطة أوالرجل المتوحش الذي سرق الخاتم الثمين، وهوبالطبع يريد أن يقضي عليها لأنها رأته وهو يأخذ الخاتم من الحقيبة التي كانت في يدها ويختفي.

نزلت «أميرة» إلى الشارع مع «محبوبة» وهي تتلفت حولها، فسألتها «محبوبة»: مالك يا «أميرة».. لماذا تتلفتين حولك؟!

قالت أميرة: أريد أن أتعرف على الشارع والعمارة إذا حدث وتهت مرة أخرى.

سارا معًا حتى نهاية الشارع حيث المحل الذي قررت «محبوبة» أن تشتري منه الملابس «لأميرة».. كان المحل مزدحمًا، فقد كانت أسعاره أقل من المحلات الأخرى..

وسرعان ما كانت «محبوبة» تختار لـ«أميرة» بعض البيجامات للنوم وعددًا من البلوزات والچيبات والبنطلونات..

وقالت «أميرة»: يا دادة هذه أشياء كثيرة جدًا.

قالت محبوبة: لقد أعطاني الأستاذ «شاكر» مبلغًا كبيرًا من المال لأشتري لك ما تريدين.

أميرة: ولكنني لم أطلب شيئًا.

محبوبة: لقد أحبك الأستاذ «شاكر» لأنه لم يرزق ببنات.. ثم إن أولاده الصبيان كبروا وهاجروا وهو رجل ثري!

أميرة: ولكن كيف أحبني دون أن يراني؟

لم ترد «محبوبة» لانشغالها باستلام الملابس.. وأخذت «أميرة» تنظر حولها.. وفجأة حدث ما كانت تخشاه.. فقد شاهدت الرجل الأعرج بنظارته السوداء وشكله المرعب يدخل المحل وينظر هنا وهناك.

أصيبت «أميرة» بما يشبه الشلل عندما رأت الرجل المتوحش.. لم تعد تعرف ماذا تفعل.. هل تصرخ وتقول.. الحرامي.. اللص.. أم أن أحدًا لن يهتم بها.. هل تجري وتختفي.. هل تنادي على دادة «محبوبة»؟!

إن القرار الصحيح أن تنادي على دادة «محبوبة».. ولكن الزحام حول خزينة الدفع لم يمكنها من الوصول إليها.. وفجأة التقت عيناها بوجه الرجل.. كان قريبًا منها ويكاد يمسك بها.. ودون أن تدري.. أسرعت تجري خارج المحل.. وأخذت تجري دون توقف وهي تنظر خلفها.. وهي تعتقد أن الرجل يطاردها.. وسرعان ما ابتعدت عن المحل وكان الليل قد هبط فتاهت في الظلام مذعورة وهي تسمع وقع خطوات الأعرج خلفها!

بعد أن كادت تسقط على الأرض إعياء توقفت «أميرة» لاهثة الأنفاس وقررت الاستسلام.. كان قلبها يدق سريعًا وجسدها ينتفض وهي تنتظر أن ينقض عليها الأعرج المخيف ولكن شيئًا من هذا لم يحدث.

* * *

في هذه الأثناء كان المغامرون الخمسة قد اجتمعوا وقرروا أن يقوم كل واحد منهم بالاتصال بثلاثة من أصدقائه لتجنيدهم في البحث عن «أميرة».. وعن«عليجة».. وقاموا بتصوير الرسومات التي أعدتها «فريدة» لتوزيعها على الأصدقاء الجدد.

قال «عاطف» مازحًا: هل يقوم «زنجر» بالاتصال بأصدقائه من الكلاب أيضا؟

قال «تختخ»: في هذه الحالة لا بد من تصوير نسخ زائدة حتى يقوم «زنجر» بتوزيعها.

ضحك الجميع ولكن بلا مرح أو سعادة فقد كانوا يشعرون بفشلهم في العثور على «أميرة» وحل لغز الخاتم المسروق رغم أنهم قاموا بعشرات المغامرات من قبل وقاموا بحل ألغاز أكثر غموضًا.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة عندما اتفقوا على العودة إلى منازلهم للاتصال بأصدقائهم وشرح الموضوع لهم.. ومطالبتهم بالبحث عن «أميرة».

* * *

وكانت «أميرة» في نفس الوقت تقف في الظلام وحدها لا تعرف ماذا تفعل.. بعد تفكير قررت العودة إلى منزل الأستاذ «شاكر» فعادت للسير وهي ترتعد.. عادت إلى الأضواء مرة أخرى وسارت في الشارع المزدحم لتبحث عن محل «لاكي»، فإذا وجدت المحل ففي إمكانها الوصول إلى منزل الأستاذ «شاكر» لإنه في نفس الشارع.

ظلت تسير وهي تنظر إلى لافتات المحلات وتحاول أن تتذكر الشارع الذي به المحل والمنزل ومضت ساعة وهي تسير دون أن تصل إلى المحل.. ولم يكن أمامها إلا السؤال عنه.. وهكذا اختارت سيدة عجوزًا كانت تسير وحدها وتقدمت منها وسألتها: معذرة يا سيدتي.. هل تعرفين محل «لاكي» لبيع الملابس؟

نظرت إليها السيدة قليلًا ثم قالت: لاكي.. لاكي.. إنني أتذكر الاسم.

أميرة: إنه محل لبيع الملابس!فكرت السيدة قليلًا ثم قالت: معذرة يا ابنتي.. أنا لا أعرفه.

شكرتها «أميرة» وسارت تسأل حتى وجدت صبيًا صغيرًا يحمل كيسًا به بعض الملابس الجديدة يسير مع والدته فاقتربت منهما وقالت: معذرة.. هل هذه الملابس من محل «لاكي» قالت السيدة: نعم

أميرة: وأين هو محل «لاكي» ؟

أخذت السيدة تشرح لـ«أميرة» الطريق إلى المحل فشكرتها «أميرة» وأسرعت إلى العنوان.. وقد استطاعت فعلًا أن تصل إلى المحل.. وهي تتوقع أن تجد دادة

«محبوبة» في انتظارها.. ولكنها عندما وصلت كان المحل قد أغلق أبوابه.. ولم تكن دادة «محبوبة» هناك.

أخذت تتذكر الطريق إلى منزل الأستاذ «شاكر»: إنه في نهاية نفس الشارع تقريبًا وهكذا عادت وفعلًا استطاعت أن تجد المنزل.

خفق قلبها سريعًا حين شاهدت المنزل.. وتقدمت لتدخل عندما وجدت الأستاذ «شاكر» ودادة «محبوبة» ينزلان السلالم الرخامية.. اندفعت«أميرة» إليهما وصاحت دادة «محبوبة»: «أميرة»!

قال الأستاذ شاكر: أين.. أين؟

محبوبة: إنها هنا.. لقد عادت.. أين ذهبت يا «أميرة» لقد كنا ذاهبين إلى قسم الشرطة للإبلاغ عنك!

ترددت «أميرة» قليلًا ثم قالت: لقد عدت.. ولا داعي لإبلاغ الشرطة.

شاكر: من الأفضل أن نذهب إلى الشرطة ونجعلهم يبحثون عن أسرتك.. هيا بنا.

(٦)
المطـــاردة

عندما خرجت «أميرة» والأستاذ «شاكر» يمسك بيدها في الطريق إلى قسم الشرطة أدركت أن هذه هي النهاية.. فسوف يسلمها الأستاذ «شاكر» إلى رجال الشرطة وسوف تحاكم بتهمة سرقة الخاتم.

سارت بجواره صامتة.. وهو يدق بعصاه الأرض فتشعر بالرهبة والخوف.. فكل خطوة إلى الأمام تقربها من مصيرها المحتوم.. مصير اللصة التي شهد الناس عليها بالسرقة.

كان الزحام شديدًا في ذلك الوقت.. وكانت «أميرة» تلبس ملابس جديدة من التي اشترتها دادة «محبوبة».. وتمنت لو أنها كانت غير مطاردة من الشرطة وليست متهمة بالسرقة.

وهما يشقان الزحام في طريقهما إلى قسم الشرطة خطر في ذهن «أميرة» خاطر كالبرق.. أن تهرب من الأستاذ «شاكر» وأن تواصل هربها من الشرطة ومن اللص الأعرج.

ظل الخاطر يلح عليها حتى إذا دخلا زحامًا شديدًا أفلتت يدها من الأستاذ «شاكر» وأسرعت تجري في الزحام.. لم تستمر في الجري طويلًا حتى لا تلفت إليها الأنظار.. وبعد أن جرت نحو مائة متر أخذت تبطئ تدريجيًا.. ثم أخذت تسير كما يسير كل الناس.. ظلت تسير وتسير ولا تدري إلى أين تتجه.. وأخذت دموعها تسيل عندما تذكرت عطف الأستاذ «شاكر» عليها.. وحنان دادة «محبوبة» حتى إنها تمنت أن تعود إلى البيت مرة أخرى.. وتلقي بنفسها بين ذارعي السيدة الطيبة وتروي لها قصتها.. ولكنها كانت تعود وتفكر أنها لوعادت فإن الأستاذ «شاكر» سوف يكون غاضبًا منها.. وسوف يكون أكثر إصرارًا على تسليمها لرجال الشرطة.

لم يكن أمامها إلا أن تسير.. وتسير.. حتى أحست بالتعب والجوع.. وشيء ما في نفسها دفعها لأن تضع يدها في جيب البنطلون «الجينز» الذي تلبسه وفوجئت عندما وجدت أوراقًا عرفت على الفور أنها نقود.. فلما أخرجتها وجدت ورقة من ذات العشرة جنيهات.. وورقة من ذات الخمسة جنيهات وثلاث ورقات من فئة الجنيه!

عرفت على الفور أن دادة «محبوبة» هي التي وضعت النقود في جيبها فقد تحتاج إليها في قسم الشرطة.

كان أهم شيء في هذه اللحظة الطيبة أن تسد جوعها الشديد فبدأت تقرأ لافتات المحلات.. ولكن أنفها هوالذي دلها إلى مكان الطعام.. كان ثمة مطعم صغير يقلي الطعمية فتنتشر الرائحة اللذيذة في الجو.. اتجهت إلى المكان الذي تصدر منه الرائحة.. وتقدمت إلى الرجل الواقف على مدخل المطعم وطلبت ساندوتش طعمية وآخر من الباذنجان الذي كانت تحبه.

اختارت «أميرة» حديقة صغيرة وجلست على الأرض وأخذت تأكل بشهية وهي تشكر في سرها دادة «محبوبة» على النقود التي وضعتها في جيبها.. وتتذكر زوج أمها الذي كان يعاملها بقسوة ويحرمها من المصروف.. لقد كانت هذه الجنيهات التي وضعتها «محبوبة» في جيبها هي أول نقود تراها منذ زمن بعيد.

كان الظلام قد هبط سريعًا على المعادي.. وشعرت «أميرة» بعد الشِّبَع برغبة قوية في النوم فاستسلمت له.. ولا تدري كم مضى عليها وهي نائمة عندما أحست بيد تهزها فاستيقظت مذعورة.. كان شرطي الدورية هوالذي هزها فاستيقظت مفزوعة وطافت بذهنها جميع الخواطر السوداء.

قال الشرطي: لماذا أنت نائمة هنا؟

ترددت «أميرة» قليلًا.. كانت لا بد أن تكذب رغم أنها تكره الكذب والكذابين فقالت للشرطي: لقد كنت عائدة إلى البيت من زيارة خالتي وجلست قليلًا ولكني نمت.

الشرطي: وأين بيتكم؟

أميرة: إنه قريب من هنا.

الشرطي: تعالي أوصلك إلى هناك.

أميرة: أشكرك ولكني أستطيع أن أذهب وحدي.

ولم تنتظر «أميرة» كلمة أخرى من الشرطي وانسلت مبتعدة وهي تنظر خلفها ثم بعد لحظات أسرعت تجري.. ومرة أخرى لم تكن تدري إلى أين تذهب.. اختارت الشوارع المظلمة لتسير فيها حتى لا يراها أحد..ولكن فجأة انحرفت إلى شارع مضاء ووجدت نفسها وجهًا لوجه مع الرجل الأعرج.. ومرة أخرى لم تدر ماذا تفعل.. هل تصيح أم تجري.. واختارت أن تجري ولكن الرجل سار خلفها.. كانت تجري وتقع ثم تقوم وتسمع صوت الساق الخشبية تدق خلفها.. سيطر عليها الرعب.. وحاولت أن تبتعد عن هذا الصوت المخيف ولكنها سقطت على الأرض مرة

أخرى.. لقد خانتها ساقيها ووجدت الأعرج يقف أمامها ويقول: أنت!

قالت «أميرة»: أنا لم أسرق شيئًا.. أنت الذي سرقت الخاتم.

مد الرجل ليمسك بذراعيها وهويقول: أنت كاذبة وسوف أسلمك للشرطة.

لم تستطع «أميرة» الرد.. كان جسدها يرتجف بشدة ولم تدر ماذا تفعل.

في هذه اللحظة ظهر الشرطي الذي أيقظها من النوم فقررت أن تلجأ إليه.. ولكن الشرطي نظر إليها دون اهتمام وقال: هل وجدت والدك؟

قال الأعرج: نعم.. إنها ابنتي.

الشرطي: لقد كانت نائمة في الحديقة وأنا الذي أيقظتها من النوم.. هل تسكنان قريبًا من هنا؟

لم تنتظر «أميرة» أكثر من هذا وانطلقت عائدة إلى الشارع المظلم وعادت إلى الجري مرة أخرى وهي تنظر خلفها ولحسن الحظ لم تر أحدًا..لا الشرطي ولا الأعرج!

كادت تسقط من الإعياء فقررت أن تمشي على مهل لتسترد أنفاسها.. وفي هذه اللحظة سمعت دقات عصا الأستاذ «شاكر».. إنها تعرفها جيدًا.. وبلا تردد قررت أن تذهب وتقول له حكايتها.

ظلت تسير في اتجاه دقات العصا حتى وجدت نفسها وجهًا لوجه مع الأستاذ «شاكر» فسارت بمحاذاته وأمسكت بيده فقال: أميرة.

قالت: نعم.

شاكر: أين ذهبت يا ابنتي؟!

أميرة: سأحكي لك كل شيء.. المهم أن نبتعد من هنا.

شاكر: لماذا؟

أميرة: المهم أن نبتعد الآن فهناك من يطاردني.

شاكر: حسنًا

* * *

في هذه الأثناء كان المغامرون الخمسة يجلسون في الحديقة وقد أصابهم الإحباط. لقد فشلوا الأول مرة في

إنجاز مهمة.. وفشلوا في حل لغز الفتاة الصغيرة الهاربة.

كانوا صامتين.. وفجأة قال «محب»: أعتقد أن الشرطة لا بد أن تتدخل في هذا الموضوع!

تختخ: لقد تدخلت الشرطة.. فقد حررنا محضرًا بالحادث عندما وقعت السرقة.. ولكن لم يكونوا قد عرفوا اسم الفتاة أوعنوانها لأنها عندما وقعت الحادثة استطاعت أن تهرب خوفًا من اتهامها بالسرقة!

نوسة: من الغريب أن أحدًا لم يبلغ عن اختفاء فتاة.. والمعتاد عندما يختفي أحد أن يقوم أهله بتقديم بلاغ إلى الشرطة للبحث عنه.

عاطف: إنها مسألة محيرة.

تختخ: فعلًا.. فتاة تختفي.. لا يبلغ أهلها عنها.. هناك إذن احتمال واحد..

فقال الجميع في نفس واحد: ما هو؟

تختخ: أن تكون الفتاة بلا أهل.

ساد الصمت الجميع وقالت «لوزة»: هل معقول أن تكون هناك فتاة بلا أهل؟!

أضاف «تختخ»: نعم.. عندما ينفصل الأبوان.

نوسة: حتى لو انفصلا.. فهناك أب وأم!

تختخ: أحيانًا يحب الأب أن يتخلص من ابنه أو ابنته لأنه تزوج مرة أخرى وأنجب!

لوزة: والأم؟

تختخ: كذلك الأم إذا تزوجت مرة أخرى ولم يكن زوجها يريد أطفالها معه.

نوسة: هناك سبب آخر مهم.

تختخ: ما هو؟

نوسة: أن تكون الفتاة يتيمة، أي مات أبوها وأمها.

تختخ: هذا احتمال.. ولكن أليس لها أقارب؟

نوسة: قد يهملها الأقارب.

تختخ: في هذه الحالة تأخذها الحكومة إلى إصلاحية الأحداث.

لـوزة: إذن «أميرة» ستختفي إلى الأبد!

ساد الصمت مرة أخرى!

* * *

وفي تلك الأثناء كانت «أميرة» تسير مع الأستاذ «شاكر» ومرة أخرى تلتقي بالرجل الأعرج وجهًا لوجه!

(٧)
من هـي أميرة؟

عندما التقت عينا «أميرة» بعيني الرجل الأعرج أدركت أن هذا الرجل ينوي قتلها فعلًا.. كانت نظراته الشريرة تشي بأفكاره المرعبة.. فهو يدرك أنها الشاهدة الوحيدة التي رأته وهو يسرق الخاتم.

ارتعدت «أميرة» وأحس الأستاذ «شاكر» بيدها ترتعش في يده فانحنى عليها وقال: مالك يا «أميرة»؟!

لم يكد الرجل الأعرج يرى الأستاذ «شاكر» وهو ينحني للحديث مع «أميرة» حتى أسرع يختفي في الزحام!

قالت «أميرة»: إنه.. إنه..

شاكر: من هو..

أميرة: لا شيء!

لقد اختفي الرجل في الزحام.. ولم يعد من المجدي أن تحكي للأستاذ «شاكر» عنه.

ووصلا إلى المنزل.. واستقبلت دادة «محبوبة»، «أميرة» بالدموع والأحضان وهي تقول: ماذا حدث يا «أميرة»؟! لقد حضر الأسْتاذ «شاكر» إلى المنزل لعلك تكونين قد عدت.

أميرة: آسفة يا دادة.. لقد تهت في الزحام!

شاكر: أظنك لم تتوهي هذه المرة.. لقد تركت يدي واختفيت في الزحام.

سكتت «أميرة» لحظات ثم قالت: لقد كنت ستسلمني إلى الشرطة.

شاكر: فقط للبحث عن أهلك!

أميرة: أنا بلا أهل!

ساد الصمت لحظات ثم قال الأستاذ «شاكر»: بلا أهل!! كيف؟!

وبدأت «أميرة» تحكي قصتها للأستاذ «شاكر».. وتتابعت المفاجآت متوالية أمامه.. فهذه الفتاة الصغيرة الجميلة مرت بمشاكل وصعاب لا يحتملها الكبار.

قالت «أميرة»: إنني طفلة وحيدة بلا إخوة أو أخوات.. وقد جئت إلى الدنيا بعد معاناة؛ فقد ظلت أمي سبع سنوات لا تحمل.. وأخيرًا حملت بي.. وعندما وُلِدْتُ كانت فرحة أبي وأمي لا تقدر.. كما حكى لي عندما كبرت!

شاكر: وماذا كان عمل أبيك؟

أميرة: كان يعمل في المقاولات.. وكان ناجحًا جدًا وقد اتسعت أعماله وأصبح شهيرًا.. وكانت مدرستي قريبة من منزلي فطلبت من أبي أن أذهب وأعود ماشية مع صديقاتي بدلًا من ركوب السيارة المخصصة لي.. وقد وافق أبي بعد إلحاح وكذلك وافقت أمي بعد توسلاتي.. وذات يوم وأنا عائدة من المدرسة دهمتني سيارة مسرعة.

وصمتت «أميرة» وتساقطت دموعها ثم قالت: ولم أفق إلا وأنا في المستشفى.. وقالت لي أمي أنني فقدت الذاكرة وظللت أُعَالَجُ فترة طويلة في إحدى المصحات وعندما خرجت كان أبي قد مات.

شاكر: كم كان سنك في ذلك الوقت؟

أميرة: كان عمري تسع سنوات.. وأنا الآن في الثالثة عشرة من عمري!

شاكر: وبعد وفاة أبيك.. ماذا فعلت أمك؟

أميرة: لم يكن لأمي دراية بالعمل فاستولى شركاء أبي على أكثر ما تركه.. ولم يبق عندنا إلا القليل!

شاكر: وبعدها؟

أميرة: أذكر أننا عشنا حياة بسيطة.. ولكن أمي تزوجت من أحد شركاء أبي السابقين.. وهذا الرجل عاملني معاملة سيئة وكان يفرق بيني وبين أولاده..

وتنهدت «أميرة» ثم قالت: وفي ذلك اليوم الذي وقعت فيه حادثة سرقة الخاتم كنت قد خرجت من منزلنا وأنا لا أدري ماذا أفعل.. كنت لا أريد أن أعود إلى المنزل لسوء معاملة زوج أمي!..

شاكر: أية سرقة؟

كانت دموع دادة «محبوبة» تتساقط وهي تسمع قصة «أميرة» وقالت وهي تربت عليها: لا تخافي يا ابنتي.. فسوف تعيشين معنا في أمان.

قالت أميرة: كيف أعيش في أمان وأنا متهمة بالسرقة.. وهناك رجل متوحش يطاردني؟

قال الأستاذ «شاكر»: أنت متهمة بالسرقة؟!

قالت أميرة: نعم

ثم روت «أميرة» للأستاذ «شاكر» ودادة «محبوبة» قصة الخاتم وهربها خوفًا من السجن.. ومن الرجل المتوحش الذي سرق الخاتم.

شاكـــر: لا تخافي.. في استطاعتي أن أوضح الحقيقة.

محبوبة: لماذا لا نبحث عن أسرتها؟

شاكـــر: هل تتذكرين يا «أميرة» أين كنت تسكنين؟

أميـــرة: لا.. فذاكرتي تخونني أحيانًا.. ومنذ أصبت بفقد الذاكرة وأنا أنسى بعض الأشياء.. وأتذكر بعضها.

شاكـــر: لعل الشرطة تستطيع العثور على عنوانك.

ارتعدت «أميرة» عندما جاء ذكر الشرطة وقالت: لا أريد أن أذهب إلى الشرطة.

شاكر: لا تخافي من أي شيء.. هل تعرفين من أنا؟

قالت أميرة: الذي أعرفه أنك لست أعمى!

ساد صمت بعد هذه الجملة.. ثم ابتسم الأستاذ «شاكر» وقال: أنت فتاة ذكية..كيف عرفت ذلك؟!

أميـــرة: هناك بعض أشياء قمت بها لا يستطيع الأعمى القيام بها أبدًا.

محبوبة: برافو يا «أميرة»!

شاكـــر: ولكن هذا سيبقى سرًا بيننا، فأنا أقوم بمهمة في خدمة الوطن تستدعي هذا الإجراء.

أميـــرة: طبعًا يا أستاذ «شاكر».

شاكـــر: قولي لي يا عمي، فأنا مثل عمك!

أميـــرة: حاضر يا عمي.

* * *

في هذه الأثناء بدأت مجموعة المغامرين الخمسة تتلقى معلومات عن «أميرة» فقد اتصلت إحدى صديقات «نوسة» بها وقالت إنها شاهدت فتاة تحمل أوصاف «أميرة» تسير في شارع ٩ مع رجل طويل القامة يحمل عصا وواضح أنه أعمى.. وأن «أميرة» كانت تمسك بيد الرجل.. وأنها تتبعتها حتى اختفت في أحد الشوارع الجانبية.. وقالت صديقة «نوسة» إن «أميرة» كانت ترتدي ملابس جديدة، وليس الملابس القديمة التي سبق أن تحدثوا عنها.

اجتمع المغامرون الخمسة على الفور، وتقرر تكليف

«تختخ» ومعه «زنجر» و«نوسة» و«عاطف» للاتجاه فورًا إلى شارع ٩، وانضمت إليهم صديقة «نوسة» التي حددت لهم الشارع الجانبي المتفرع من شارع ٩ الذي اختفت فيه «أميرة»!

وظل المغامرون الثلاثة ومعهم «زنجر» وصديقة «نوسة» يسيرون في شارع ٩ الطويل المزدحم، ثم ينحرفون إلى الشارع الجانبي ويفحصون السائرين.. وبعد ساعات من البحث والفحص دون أن يعثروا على أثر لـ«أميرة» أو الرجل الطويل الذي كانت تسير معه.. قرروا العودة بعد أن تعبوا من المشي والبحث.

قالت نوسة: ربما علينا أن نتصل بالمفتش «سامي» مرة أخرى.

تختـخ: أظن إن إبلاغ المفتش لن يؤدي إلى نتيجة..فكما عرفنا فإن أحدًا من أهل «أميرة» لم يبلغ الشرطة باختفائها أو طلب البحث عنها.

عاطف: هذه مسألة غريبة.. كيف تخرج فتاة ثم لا تعود إلى أهلها ولا يبلغ أحد عن فقدها!

تختـخ: ربما ليس لها أهل وقد ناقشنا هذا من قبل وقلنا ربما تكون بلا أهل.

ساد الصمت وهم يسيرون في اتجاه ثيلًا «محب» فلم يخطر على بال أحد أن تكون «أميرة» بلا أهل.. فهم يعرفون أن جميع الأطفال لهم أسر ولهم أهل!

نوسة: ولكن لا بد أن الشرطة تبحث عنها باعتبارها متهمة بالسرقة.

تختـخ: برافو«نوسة» هذه ملاحظة مهمة فعلًا.. ولكن الشرطة لا تعرف عنها إلا اسمها الأول.. وشكلها كما وصفته في المحضر.

عاطف: لعل الشرطة تنتظر بلاغًا من أسرتها تعرف منه اسمها الكامل وربما صورة لها.

نوسـة: هل نسأل في المدارس المجاورة لعلنا نعرف من هي؟

تختـخ: لعلها ليست تلميذة.

عاطف: وهذا بحث يطول فهناك مدارس كثيرة في «المعادي».

تختخ: ولعلها ليست من «المعادي» أصلًا!

نوسـة: أشعر أننا سنعثر عليها قرب شارع ٩ حيث حددت صديقتي مكانها

تختخ: إذن سنركز جهودنا غدًا على شارع ٩.. وأطلق «زنجر» نباحه موافقًا!

(٨)
صبي المكوجي

في صباح اليوم التالي كـان المغامرون الخمسة وأصدقاؤهم ينتشرون في شارع ٩ المزدحم يتفحصون المارة لعلهم يرون «أميرة» بينهم.

كان «تختخ» كما قال سابقًا يحس إحساسًا غامضًا أنهم سيجدون «أميرة» في شارع ٩ أو في الشارع المتفرع منه والذي قالت صديقة «نوسة» إنها رأت فتاة تشبه «أميرة» تدخل هذا الشارع.

وفجأة لمح «تختخ» صبيًا من الذين يعملون عند الكوائين يسير وهويحمل جملة من الملابس التي تم كيها في طريق تسليمها.. ولمح على الفور «بلوزة» صغيرة من نفس اللون الذي كانت تلبسه «أميرة» يوم حادث السرقة. هل يا ترى - هكذا حدث «تختخ» نفسه - هي بلوزة «أميرة»؟ أم هي من نفس اللون فقط؟ سار «تختخ» وراء صبي المكوجي في شارع ٩ حتى رآه ينحرف إلى الشارع الجانبي.. وأحس بقلبه

يدق سريعًا.. فهذه أول مرة يعثر فيها على أثر حتى ولوكان مجرد شك لـ «أميرة».

سار خلف الصبي الذي كان يسير ببطء تحت عبء الحمل الثقيل الذي يحمله.. ثم دخل الصبي إلى أحد المنازل فدخل خلفه «تختخ» سريعًا وأخذ يرمقه من بعيد وهويسلم الثياب إلى أصحابها.. ثم ينتظر حتى يأخذ أجرة «المكوة».. كان «تختخ» يحاول معرفة الثياب التي سلمها الصبي، فقد تكون بينها بلوزة «أميرة» ولكن الولد عاد ينزل السلالم وما زال يحمل البلوزة وتبعه «تختخ» مرة أخرى.

دخل صبي المكوجي المنزل الثاني وظل يحمل البلوزة، ثم وصل إلى عمارة كبيرة يجلس أمامها أحد البوابين الذي شاهد «تختخ» يدخل وراء صبي المكوجي فقام وسأل «تختخ»: حضرتك عاوز مين في العمارة؟.

ارتبك «تختخ» لحظات ثم قال: هل هذه العمارة رقم عشرة؟

قال البواب: لا.. رقم عشرة بعدنا!

تختـخ: آسف..

البواب: حصل خير!

كان صبي المكوجي قد صعد في العمارة ولم يعد في استطاعة «تختخ» متابعته ولكنه قرر أن يقف بعيدًا حتى يخرج صبي المكوجي ليرى إذا كان ما زال يحمل البلوزة أم لا.

ظل «تختخ» يقف في الظلام بعيدًا عن العمارة بحيث يستطيع رؤية الخارج منها.. وفعلًا شاهد صبي المكوجي وهويخرج ولم يكن يحمل أي ثياب.. أي أنه سلم البلوزة في هذه العمارة.

سار «تختخ» وراء الصبي قليلًا ثم قرر أن يتحدث معه فقد يعرف منه الشقق التي سلم فيها «البلوزة» وأخذ يفكر في طريقة التعارف، فسار بسرعة حتى تجاوز الولد ثم عاد في مواجهته وقال: هل تعمل عند «حسن» المكوجي؟.

قال الولد ببساطة: لا عند الأسطى «مسعد».

تختخ: وهل عندكم غسيل و«مكواة»؟

الولـد: لا.. «مكوة» فقط.

سار تختخ بجوار الولد وعـاد يسأله: بكم تكوون القميص؟

الولـد: بجنيه.

تختخ: والبدلة؟

الولـد: ثلاثة جنيهات.

تختخ: والفستان.

الولـد: كل فستان له سعر!

تختخ: هل تتعاملون مع كل سكان العمارة الكبيرة التي دخلتها!

أجاب الولد ببراءة: لا.. ليس كلهم!

تختخ: التي يسكن فيها الدكتور «مكين»؟!

الصبي: لا أعرف..

وقبل أن يسأل «تختخ» سؤالًا آخر دخل الصبي دكان المكوجي.. ووقف «تختخ» على الرصيف وقد دارت في رأسه أكثر من فكرة للدخول إلى العمارة.. ثم قرر في النهاية أن يطلب من الأصدقاء الاجتماع فقد يقترحون حلولًا لا تخطر بباله.

وعندما التقوا في الموعد المعتاد في المساء لم يكن عند أي من الأصدقاء شيئًا جديدًا.. وانتظر «تختخ» حتى روى كل منهم ماجرى له.. ثم قال: أظنني أمسكت بطرف الخيط في الوصول إلى مكان «أميرة».

انتبهوا جميعًا إلى ما قاله: إذا كانت ذاكرتي قوية فإنني رأيت اليوم البلوزة التي كانت تلبسها«أميرة» يوم حادث سرقة الخاتم.

وسكت «تختخ» ثم مضى يروي ما حدث له مع صبي المكوجي.. وكيف تاه منه في العمارة بعد أن منعه البواب من الدخول.

قالت «نوسة»: إذن كانت صديقتي على حق عندما قالت إنها شاهدت فتاة تشبه «أميرة» تسير في شارع ٩.

تختخ: هذا صحيح.. مهمتنا الآن الوصول إلى حقيقة هل تقيم «أميرة» في هذه العمارة أم ما نقوله مجرد أحلام؟

عاطف: المسألة بسيطة.

تختخ: من فضلك يا «عاطف» لا تندفع.

عاطف: إنني لم أتحدث بعد.

تختخ: آسف.. تفضل.

عاطف: في إمكاننا أن نسأل البواب.

تختخ: ماذا نقول له؟

سكت «عاطف» لحظات وأحس أنه اندفع فعلًا ولكنه عاد يقول: نسأل البواب.

تختخ: وهل يمكن أويصح للبواب أن يتحدث بالتفصيل عن سكان عمارة هوحارس على من فيها؟!

نوسة: لا أظن.

محب: نبلغ الشرطة بأننا عثرنا على الفتاة الهاربة في هذه العمارة وتستطيع الشرطة أن تعرف كل شيء عن سكان العمارة!

نوسة: إن «أميرة» هاربة من الشرطة.. ونحن نقوم بالإبلاغ عنها.. غير معقول، فلوكانت تريد أن تذهب إلى الشرطة لذهبت من تلقاء نفسها!

لوزة: سأقول فكرة أرجو أن لا تضحكوا منها!

تختخ: قولي يا «لوزة»!

لوزة: هل تعرفون الطلبة الذين يترددون على البيوت لبيع بعض السلع مثل الصابون والشامبو وزجاجات الزيت؟!

صاح «تختخ»: برافو «لوزة» فكرة جبارة!

محب: ومن أين نحضر هذه السلع؟!

نوســة: بسيطة.. كل واحد منا يحضر قطعتين من الصابون وزجاجة شامبو وزجاجة زيت!

تختـخ: طبعًا بعد أن يستأذن والدته!

نوســة: يكفي أن يقوم «تختخ» وحده بالذهاب إلى العمارة لعرض هذه السلع!

عاطف: ولكن البواب قد يتعرف عليه!

نوســة: نستطيع أن نشغل البواب حتى يتسلل «تختخ» إلى العمارة!

محب: وماذا سيقول «تختخ» للسكان حتى يعرف إذا كانت «أميرة» موجودة أم لا؟!

تختـخ: هذه مشكلة فعلًا وتحتاج إلى تفكير.

نوسـة: دعونا نجمع البضائع المطلوبة أولًا.. ثم إننا نحتاج لحقيبة يحمل فيها «تختخ» هذه الأشياء.

تختـخ: ستكون حقيبة ثقيلة!!

عاطف: ليس مهمًا أن نأخذ كل الأشياء.. يكفي بعضها.

تختـخ: معك حق.

نوسـة: إذن نجتمع غدًا صباحًا ومعنا البضاعة ولنفكر الليلة ماذا سيفعل «تختخ».

اجتمع المغامرون في الصباح وقد أحضر كل منهم زجاجة زيت وزجاجة شامبو وخمس قطع صابون وعشر علب كبريت.. وعندما شاهد «تختخ» كل هذه البضاعة صاح مستنكرًا: ما هي الحكاية.. إنني لن أتمكن من حمل هذا كله.

عاطف ضاحكًا: سنطلق عليك اسم بقالة «تختخ» المتنقلة.

نوسـة: سوبر ماركت «تختخ» المتحرك.

لـوزة: إنني أرفض سخريتكم من «تختخ».

تختخ: دعيهم يضحكون.. المهم ماذا سنفعل؟

نوسـة: طبعًا نحن لا نتهكم عليك.

تختخ: ليس مهمًا.. المهم مرة أخرى ماذا سنفعل؟

محب: عليك أن تحضر حقيبة من منزلكم لحمل البضاعة.

نوسـة: سنضيع وقتًا طويلًا.. سأحضر أنا له حقيبة مناسبة.

تختخ: ولكني لا أستطيع أن أحمل هذا كله.

عاطف: على كل واحد أن يحمل بضاعته حتى نقترب من العمارة..ثم نعطي لـ «تختخ» عددا معقولاً منها والباقي يبقى معنا.

تختـخ: هذه مشكلة تم حلها.. المشكلة الثانية كيف أستطيع أن أقنع البواب؟!

محب: لقد فكرت في هذه المشكلة.. علينا أن نشغل البواب حتى يتسلل «تختخ» داخلاً.

لـوزة: وكيف سنعثر على «أميرة»؟!

نظر المغامرون لبعضهم وأدركوا أن المسألة ما زالت في حاجة إلى مزيد من التفكير.

(٩)
أميرة.. ولكن!

في صباح اليوم التالي تم الاتفاق بين المغامرين الخمسة على الحديث عن مغامرة «تختخ» المنفردة فورًا.. فالوقت ليس في صالحهم وكل يوم يمضي على إختفاء «أميرة» يزيد الأمر صعوبة.

وهكذا حمل «تختخ» زجاجتي زيت وعلبتي سمن، وثلاث زجاجات شامبو وخمس قطع صابون واتجهوا جميعًا إلى شارع تسعة، ووصلوا إلى الشارع الصغير المتفرع منه.. وكانت خطتهم التي اتفقوا عليها أن يقف «محب» و«عاطف» و«لوزة» و«نوسة» قريبًا من البواب ثم يتظاهرون بقيام مشاجرة بينهم، وطبعًا كما تصوروا سوف يتدخل البواب وأثناء انشغاله بهم يتسلل «تختخ» إلى العمارة على أن يترك للحظ والذكاء الفرصة للعثور على «أميرة».

ومر المغامرون الأربعة أمام العمارة.. والمفاجأة أنهم لم يكونوا في حاجة إلى افتعال مشاجرة للفت انتباه البواب..

فلم يكن البواب موجودًا، وأشاروا لـ «تختخ» أن يسرع بدخول العمارة فتقدم مسرعًا واجتاز الباب.. وطبعًا اختار أن يصعد على السلالم حتى يستطيع دق الأبواب كلها.

كانت العمارة مكونة من عشرة طوابق.. وبدأ من أول دور.. ودق باب الشقة الأولى.. وفتحت سيدة بدا عليها الغضب؛ فقد كانت نائمة فلم تكد ترى «تختخ» حتى صاحت: ماذا تريد؟ وقبل أن يجيب أغلقت الباب في وجهه.

أحس «تختخ» بالخجل الشديد فهذه أول مرة يتعرض للمهانة بهذا الشكل.. ولكنه لم يستسلم للإحساس بالضيق.. ودق الباب الثاني.. وفتح الباب صبي جميل الوجه قال إنه لا يشتري شيئًا لأنه وحده وقد خرج أبوه وأمه وتركاه مع الشغالة.. وانتهز «تختخ» فرصة هذا الولد المشرق الوجه وقرر أن يسأله: هل عندك أخوات؟ قال الصبي الذكي: لماذا تسأل؟.

تختخ: أبدًا لأن لي فتاة من أقربائي تعيش هنا في العمارة ولكني لا أعرف الشقة التي تسكن فيها.

الصبي: منذ متى تسكن قريبتك هنا؟!

تختخ: منذ أيام قليلة.. لهذا لا أعرف في أي دور سكنت!

فكر الصبي لحظات ثم قال: لعلها الفتاة الصغيرة التي سكنت في الدور الرابع ما اسمها؟

تختـخ: أميرة!

الصبي: أظن بأني سمعت باسمها من البواب أومن الدادة التي تعمل هناك.

شكر «تختخ» الصبي كثيرًا.. لقد أنجز مهمته بسرعة لم يتوقعها والمصادفات الطيبة لا تحدث كثيرًا.

أسرع «تختخ» إلى الدور الرابع وقلبه يدق سريعًا.. هل يكون كلام الصبي صحيحًا فيعثر على «أميرة»؟!

كان الدور مكونًا من أربع شقق.. واختار «تختخ» أن يبدأ من يمين السلم.. دق الباب بقلب راجف.. واستمر في الدق مرات دون أن يجيب أحد.

انتقل إلى الشقة التالية ودق الباب وبعد لحظات ظهرت فتاة شابة تلبس مريلة المطبخ ويبدوأنها تعمل عند السكان، كانت مبتسمة وهي تسأل: من الطارق؟

قال «تختخ» مرتبكًا: إنني أسأل عن فتاة قريبتي سكنت هنا منذ أيام قليلة ولا أعرف الشقة التي تسكن فيها!

قالت الشغالة: وهل أتيت لها بهدايا من الزيت والصابون والشامبو.. إنك قريب كريم.

تختـخ: لا.. إنني أبيعها!

الشغالة: بكم الزيت.. والصابون؟!

لم يعمل «تختخ» حساب هذا السؤال البديهي، ولكنه لم يرتبك وقال: إنني أبيع بأقل جنيه من سعر كل بضاعة!

الشغالة: ياه.. هات إذن ما معك!

لم يصدق «تختخ» ما حدث..لقد تخلص من هذا الحمل الثقيل بأسرع مما توقع.

دخلت الشغالة وعادت بعد قليل وقدمت «لتختخ» حسابه وقالت: إن سيدتي تحب مساعدة الأولاد الذين يسعون وراء رزقهم.. لهذا فهي ترسل لك كل الثمن دون أن تخصم قرشًا واحدًا.

تختخ: شكرًا لك ولها.. ولكن أين قريبتي التي تسكن هنا في هذا الدور؟

أشارت الشغالة إلى الشقة المقابلة وقالت: في هذه الشقة

أغلقت الشغالة الباب وأخذ «تختخ» يتأمل النقود التي باع بها البضاعة.. كان سعيدًا جدًا لأن يقوم بدور التاجر لأول مرة في حياته.

أصبح عليه الآن أن يذهب إلى الشقة التي بها «أميرة» وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه.

دق الباب وانتظر وأنفاسه تتلاحق وبعد لحظات فُتِحَ الباب وظهرت سيدة تبدوعليها الطيبة وقالت: نعم؟

قال «تختخ»: أسأل عن «أميرة»؟

تغير وجه السيدة وسألت: ومن أنت؟!

تختخ: اسمي «توفيق».

السيدة: وما علاقتك «بأميرة»؟

تختخ: إنها ستعرفني عندما تراني.

السيدة: ولماذا تريد مقابلتها؟

تختخ: المسألة مهمة جدًّا.

أخذت السيدة تفكر لحظات ثم قالت: انتظر.. وأغلقت الباب.. وقف «تختخ» مكانه وقد شعر بالتوتر.. فماذا سيحدث في اللحظات القادمة؟

فتح الباب مرة أخرى وظهرت السيدة وهي تقول: الأستاذ صاحب الشقة غير موجود.. تعال مرة أخرى.

لاحظ «تختخ» أن شيئًا يتحرك خلف السيدة فأطل داخل الشقة وعلى الفور شاهد «أميرة» كما يتذكرها يوم الحادث فصاح: أميرة.. أميرة!

سارعت السيدة بإغلاق الباب.. ووقف «تختخ» مكانه لا يكاد يستطيع السيطرة على نفسه وهويفكر: هل يدق الباب مرة أخرى؟. إنه لا يريد أن يثير الفزع في قلب السيدة أوفي قلب «أميرة» ولكنه قريب جدًا من حل لغز الهاربة الصغيرة.

لم يكن أمامه إلا النزول لمقابلة بقية المغامرين ليروي لهم ما حدث والمفاجأة التي وقعت!

نزل في المصعد وأسرع يخرج إلى الشارع مندفعًا.. كان بقية المغامرين يقفون عند ناصية الشارع فأشار إليهم أن يبقوا في أماكنهم ثم أسرع يمشي وكأنه لا يعرفهم فقد كان البواب جالسًا.. ولم يترك «تختخ» له فرصة لسؤاله عن سبب وجوده في العمارة.. مشى المغامرون خلف «تختخ» حتى ابتعدوا عن العمارة بمسافة كافية ثم لحقوا به.. قال «تختخ»: عثرت على «أميرة»!

كانت مفاجأة لبقية المغامرين فقال محب: أين هي؟

تختخ: في شقة في الدور الرابع من العمارة التي دخلتها

لـوزة: ولماذا لم تحضر معك؟!

نظر إليها «تختخ» معاتبًا وقال: الحكاية يا «لوزة» ليست بهذه البساطة.

لـوزة: لا أفهم.

تختخ: ليس من المعقول أن أطلب منها الحضور معي فتحضر فورًا.. أو أخطفها مثلًا.

نوسة: وماذا سنفعل؟

تختخ: سنحتاج إلى تفكير هادئ حتى لا تفلت من أيدينا مرة أخرى

عاطف: دعونا نبلغ الشرطة وننتهي.

تختخ: أنت تعرف أن «أميرة» خائفة من الشرطة.. فإذا أبلغنا الشرطة وقبضت عليها فقد تصاب بانهيار عصبي!

سكت الجميع لحظات وقال «تختخ»: على كل حال لقد أنجزنا مهمتين الأولى العثور على «أميرة» والثانية أنني أصبحت تاجرًا للمواد الغذائية!

نوسة: صحيح.. هل بعت البضاعة؟

تختخ: نعم.. كلها ولشقة واحدة.

عاطف: أقترح أن نفتح لـ «تختخ» سوبر ماركت.

نوسة: سيأكل البضاعة ونفلس.

ضحك المغامرون وقال «تختخ»: تعالوا نذهب إلى حديقتنا أولًا فأنا سأموت من الجوع.

محب: معك حصيلة المبيعات.. اِشْتَرِ لنا بعض الساندوتشات.

تختخ: موافق.

اتجهوا فورًا إلى محل الفول والطعمية القريب من ڤيلَّا «نوسة» و«محب» وهو محل نظيف، واشتروا كمية من ساندوتشات الفول والطعمية.. وبعد ساعة كانوا يجلسون في الشمس يستمعون إلى «تختخ» وهويحكي لهم مغامرته في العمارة رقم عشرة الدور الرابع.

(١٠)
المفاجأة!

كانت «أميرة» تجلس مرتبكة تبدوعليها علامات التوتر.. يجلس أمامها الأستاذ «شاكر» الذي أتى وبدأ حديثه مع «أميرة» بينما تقف دادة «محبوبة»..

شاكر: اهدئي يا «أميرة».. لا داعي لكل هذا القلق، ولكنك متأكدة أنه الولد الذي حضر وقت وقوع السرقة؟..

أميرة: نعم هو.. شكله لا يُنْسَى.

دادة محبوبة: هوبالتأكيد يا سيد «شاكر»..لقد نادى عليها بالاسم فور أن لمحها بالداخل.

شاكر: ليس هناك تبرير لحضوره سوى أنه أتى لمساعدتك!

قام «شاكر» من كرسيه وتحسس طريقه إلى حيث تجلس «أميرة»..مد يده بحنان مُمَرِّرًا إياها على رأس «أميرة»!

شاكر: اهدئي يا «أميرة».. سبق أن قلتِ لي إن هذا الولد قد شاهد سرقه الخاتم.. ورأى اللص الحقيقي أثناء هروبه.

أميرة: أنا متأكدة.

هنا عادت «دادة محبوبة» تحمل كوبين من عصير الليمون ناولت أحدهما إلى «أميرة» التي حملته بيديها المرتعشين بصعوبة..وناولت الآخر للسيد «شاكر»..

تدخلت الدادة في الحديث: لقد بدا ولدًا مهذبًا.. وقال إن اسمه «توفيق» ويريد «أميرة» في أمر مهم..وحينما أخبرته بأن سيادتك غير موجود بالمنزل.. لم يحاول أن يدق الباب مرة أخرى.. بل انصرف في أدب وهدوء.

بدأت السكينة والأمان يعودان إلى ملامح «أميرة».. وساعدتها الدادة الطيبة برفع كوب الليمون إلى فمها الصغير.

شاكر: أعتقد أنه سيعود مرة أخرى.. وأرجو أن يعود.. فأظن أن «توفيق» هذا هوطريقنا الوحيد للوصول إلى الحقيقة.. وإظهار براءتك يا «أميرة»!

بصوت مرتعش قالت «أميرة»: ولكن كيف توصل إلى مكاني هنا؟..

شاكر: الحقيقة لا أدري؟! ولكن مما لا شك فيه أنه ولد ذكي جدًا.. وأنا شخصيًا متلهف على مقابلته والتحدث إليه..

في تلك الأثناء وفي حديقة منزل «محب» و«نوسة» اجتمع المغامرون وقد بدا عليهم التفكير والشرود ثم قالت «نوسة»: حسنًا.. ما الخطوة التالية؟..

محب: نعم.. صحيح.. ما الخطوة التالية؟

تختخ: اتفقوا على أي خطة.. ولكن كونوا متأكدين أنني لن أحمل بضاعة مرة أخرى.

ضحك الجميع لوزة: نعم.. «تختخ» على حق.. يجب أن نجد شيئًا أقل وزنًا من الصابون والشامبو..

عاطف: أعتقد أنه يجب أن نذهب إلى «أميرة» المرة القادمة كأصدقاء يريدون مساعدتها!

لوزة: كيف؟!

عاطف: ببساطة نطلب أن نقابل أصحاب الشقة.. ومن خلالهم يمكننا التحدث مع «أميرة».

نوسة: السؤال هو: ما علاقة «أميرة» بالشقة وأصحابها.. هل هم من أقربائها مثلًا؟!

تختخ: لا أعتقد.. فالشقة مفروشة بشكل فاخر.. وهيئة «أميرة» وملابسها كما رأيتها وقت الحادث لا تدلان على وجود أقارب لها بهذا المستوى!

محب: حسنًا.. هل ستذهب بمفردك مرة أخرى يا «تختخ»؟!

نوسة: أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب جميعًا.

تختخ: أعتقد ذلك.

هبت لوزة واقفة: وأنا معكم!..

تختخ: أنت قبل الجميع يا «لوزة»!

لوزة: إذن يجب أن نحمل لها هدية بسيطة..

عاطف: نعم.. وأقترح أن تكون صابونًا وشامبو..

وقهقه الجميع ضاحكين.

في المساء كان المغامرن يقفون أمام شقة السيد «شاكر».. وكانت «لوزة» تحمل لفافة ملونة..

تقدم «تختخ» ودق الجرس.. لحظة قصيرة وفتحت الباب دادة «محبوبة» التي لم يبد عليها الاندهاش لرؤية المغامرين.

تختخ مبتسمًا: السلام عليكم.. هل يمكن مقابلة الأستاذ؟

محبوبة: أتريدون مقابلة الأستاذ «شاكر» أم «أميرة»؟

تختخ: أولًا نود مقابلة الأستاذ «شاكر».. وإن سمح لنا نريد مقابلة«أميرة» بعد ذلك.

فتحت الدادة الباب أكثر وقالت: تفضلوا.. أهلًا بكم..

دخل المغامرون.. وعيونهم تطوف بالمكان يتفحصونه. غابت الدادة للحظات..ثم أتي السيد «شاكر» قائلًا بصوته العميق وهو يتقدم متحسسًا خطواته: أهلًا بكم..

رد المغامرون التحية.. وقد بدا عليهم الاندهاش فور اكتشافهم أن «شاكر» كفيف.

شاكر: تفضلوا بالجلوس..

تختخ: أولًا..نأسف لحضورنا دون موعد سابق.

شاكر: لا بد وأنك «توفيق»!

تختخ: نعم يا سيد «شاكر»، قد علمنا من بواب العمارة أنك قد تكون مستيقظًا في مثل هذا الوقت..

شاكر: أهلًا بكم..

نوسة: نحن مجموعة من الأصدقاء نسكن حي «المعادي» منذ زمن طويل!

شاكر: أنتم إذن من «المعادي».. هذا ما يبرر سرعة وصولكم إلى مكان «أميرة».

تختخ: أستاذ «شاكر».. حتى لا أضيع وقت سيادتك.. لقد كنت متواجدًا وقت حدوث السرقة التي اُتُّهِمَتْ فيها «أميرة» بذلك.

شاكر: لقد أخبرتني «أميرة» بذلك.

تختخ: وتأكد سيادتك بأن «أميرة» لم تسرق الخاتم، وأنا شهدت بذلك في محضر الشرطة!

محب: بل أكثر من هذا.. لقد شاهد «تختخ» السارق الحقيقي!

شاكر: «تختخ».. من هو«تختخ» هذا؟!

ضحك الجميع..

لـوزة: إنه اسم الدلع لـ «توفيق».

تختخ: أنا «تختخ».. فلقد اعتاد الجميع مناداتي بـ «تختخ»!

قال شاكر مبتسمًا: حسنًا.. أعتقد أن ظهورك في هذا الوقت مهم للغاية يا «تختخ»..فأنت شاهد على براءة «أميرة» إلى جانب أنك شاهدت السارق الحقيقي.

تختخ: هذا صحيح.

نوسة: اسمح لي بسؤال يا أستاذ «شاكر»: هل «أميرة» إحدى قريباتك؟.

شاكر: الحقيقة لا.. لقد قابلتها بالصدفة.. وفور أن روت لي قصتها اقتنعت ببراءتها.

لوزة: هل من الممكن أن تسمح لنا بمقابلة «أميرة» يا أستاذ «شاكر»، فأنا متلهفة لمقابلتها؟

شاكر: بالتأكيد.. لوسمحت يا دادة «محبوبة» اطلبي من «أميرة» أن تنضم إلينا وأخبريها أن الأصدقاء هنا قد أتوا لمساعدتها..

لوزة: ولتقديم الشيكولاتة أيضًا..

ضحك الجميع.. وانصرفت «محبوبة» إلى غرفة «أميرة»..

شاكر: الحقيقة ومنذ زيارة «تختخ» الأولى وهي خائفة ومرتبكة ولم تخرج من غرفتها.

محب: نرجوأن تفهم حقيقة زيارتنا ومحاولاتنا لإثبات براءتها.

وفجأة أتي صوت «محبوبة» وهي تصيح من الداخل: أميرة.. أميرة.. أين أنت؟

ساد صمت ثقيل ثم صاحت «محبوبة»: يا أستاذ «شاكر» أميرة ليست في غرفتها ولا في الشقة كلها!

(١١)
في نفس المكان.. في نفس الوقت!

وفي وسط الارتباك الذي أصاب الجميع استأذن المغامرون الخمسة.. وفور نزولهم من شقة «شاكر» بعد اكتشافهم هروب «أميرة» قبل أن يصلوا إليها وجدوا أن «زنجر» قد سيطر عليه الحزن هو الآخر فور انضمامه إليهم.. حيث كان ينتظرهم أسفل العمارة..

. عاطف: الغريب.. أنني توقعت حدوث ذلك!

نوسة: «أميرة» مسكينة.. إن الخوف يملؤها..وظنت أن «تختخ» سوف يقود الشرطة إلى مكانها.

محب: تركت منزل الأستاذ «شاكر» هذا الرجل الطيب وفضلت الهروب وحيدة في هذه الشوارع المزدحمة.

وفجأة توقفت «لوزة» التي كانت لا تزال تحمل هديتها

الصغيرة.. وأسندت رأسها الصغيرة على أحد أعمدة الإنارة بالشارع.

نوسة: خير.. ما بك با «لوزة» ؟!!

فوجئ الجميع أن «لوزة» الرقيقة قد انخرطت في البكاء.. التف حولها المغامرون لتهدئتها وهم يربتون عليها..واحتضنتها «نوسة» وساروا.. أما «زنجر» فقد أحس بحرارة الموقف فأخذ يلف حول «لوزة» محاولًا أن يلاطفها هو الآخر وسيطر الصمت على الجميع.

* * *

في تلك الأثناء كانت «أميرة» الصغيرة تجوب شوارع المعادي ليلًا تتلفت حولها وحيدة، وقادتها قدماها الصغيرتان إلى «المعادي جراند مول»، ذلك المبنى الضخم بأضوائه الساطعة.. فتقدمت في تردد ودخلت.

كان المكان مزدحمًا. دست يدها الصغيرة في أحد جيوبها وأخرجت بقية ما معها من مال، ووقفت قرب ڤاترينة محل يبيع الحلويات الشرقية.. ثم وقفت تراقب المحل.. وتتحسس نقودها القليلة. في هذه اللحظة..كانت إحدى عاملات المحل تراقبها وترصد حركاتها.

قالت العاملة: ماذا تريدين؟

رفعت «أميرة» يديها وتقدمت من البائعة..تناولها النقود قالت البائعة: ماذا تريدين؟

أشارت «أميرة» بأصابعها الرقيقه على أحد الأصناف.

البائعة: بكم تريدين؟.

قالت أميرة في صوت خفيض: بهذه النقود.

ذهبت البائعة وعادت تحمل طبقًا ورقيًا وبدأت تضع به بعض قطع الحلوى التي أشارت إليها «أميرة».. وانتقلت إلى صنف آخر ووضعت منه بعض القطع أيضًا.. حتى امتلأ الطبق.. ناولته البائعة لـ «أميرة» التي حملته بيد..وبالأخرى مدت يدها للبائعة بالنقود.. فما كان من البائعة إلا أن ابتسمت وردت يد «أميرة» بلطف تعيد إليها نقودها، وقفت «أميرة» وبدا أنها لم تفهم. ربتت البائعة على كتفها في رقة وأشارت إلى سيدة كانت تتابع ما يحدث.. وأشارت السيدة إلى «أميرة» بأنها دفعت بالنيابة عنها ثم انصرفت.

حملت «أميرة» الطبق إلى أحد الأركان الهادئة.. وبدأت تلتهم الحلويات.. فقد مرت ساعات طوال لم تذق فيها الطعام!

في تلك الأثناء كان المغامرون لا يزالون يقطعون الطريق

من منزل الأستاذ «شاكر» إلى منزل «تختخ» سيرًا على الأقدام حتى اقترح «عاطف» شيئًا.

عاطف: ما رأيكم أن نأخذ الدراجات.. ونذهب للعشاء؟.

نوسة: أنا موافقة.. ما رأي الباقين!

تختخ: إن كان بغرض العشاء.. فأنا أول الموافقين..

ضحك الجميع ثم قال محب: المهم هو رأي «لوزة»!

تختخ: نعم.. إذا وافقت «لوزة».. لنذهب.. وإن لم توافق.. فقد أبيت ليلتي بلا طعام!

كانت «لوزة» لا تزال على صمتها.. ولكنها ابتسمت..

تختخ: حسنًا.. موافقة بالإجماع.. المهم أين؟!

عاطف: ما رأيكم في الذهاب إلى «المول»؟!!

رد الجميع: موافقون.

حتى «زنجر» أعلن موافقته بنباح متقطع مبتهج..

* * *

كان الأستاذ «شاكر» يجلس في غرفته شبه المظلمة وحيدًا يفكرفي هذه الأحداث عندما دقت الدادة الباب

المفتوح بلطف. وقالت: أستاذ «شاكر» هل أحضر لك العشاء الآن؟!

تنهد «شاكر»: ليس لي رغبة في تناول الطعام يا دادة..

دادة: أعلم أن هروب «أميرة» قد أشعرك بالحزن..

«شاكر»: كنت قد بدأت أشعر وكأنها ابنتي.. أوكأنها مسئولة مني.. رغم أنها لم تمكث سوى أيام قليلة.

حاولت «محبوبة» أن تخفي حزنها وقالت: وأنا أيضًا.. فهي فتاة طيبة وقنوعة وقد تعلقت بها جدًا.. ولكني متأكدة أنها ستعود.. نعم ستعود..

قام المغامرون بتأمين دراجاتهم أمام أحد مداخل «المول» وتقدموا منه..

تختخ: أشم رائحة الطعمية الساخنة من هنا..

ضحك الجميع ودخلوا بينما تمدد «زنجر» بجوار الدراجات في انتظار حصته هوالآخر من العشاء!!

لم يكن أحد من المغامرين يدري أن «أميرة» البريئة

الهاربة داخل المبنى أيضًا.. ولا يفصلهم عنها سوى بضع خطوات قليلة!

وإن كان في نفس الوقت وعلى بعد خطوات قليلة أيضًا خطرعظيم يحدق بالمغامرين..خاصة «تختخ»! فساعة دخوهم إلى المول كانت هناك سيارة نصف نقل قديمة.. قد توقفت أيضًا على الجهة المقابلة «للمول».. كان قائدها في انتظار اللحظة المناسبة لتنفيذ مهمته الإجرامية..فلم يكن قائدها إلا «عليجة الأعرج» الذي أخذ يراقب المغامرين حتى اختفوا داخل ردهات «المول» ثم أطفأ محرك سيارته.. وأشعل سيجارة.. يترقب خروجهم مرة أخرى.

جلس المغامرون في أحد مطاعم «المول» وقد انهمكوا في تناول عشائهم الذي لم يعطلهم عن المناقشة حول اختفاء «أميرة».

قبل أن يلتهم قضمة من الساندوتش قال عاطف: حسب كلام الأستاذ «شاكر» أنها غادرت ومعها بعض جنيهات قليلة..

لـوزة: نعم.. لن تكفيها سوى ليوم واحد..

تختخ: المهم ألا تفكر في الابتعاد عن «المعادي».. لأن

هذا سوف يصعب علينا مهمة الوصول إليها مرة أخرى.

نوسة: نعم.. وإن كانت فكرة مغادرة «المعادي» هي الفكرة الصائبة لفتاة صغيرة وحيدة.. تشعر أن الجميع يبحث عنها هنا للقبض عليها.

محب: نعم.. بالتأكيد سوف تحاول الابتعاد عن «المعادي».

لـوزة: إذن يجب سرعة البحث عنها قبل أن تفكر في الهرب بعيدًا.

تختخ: حسنًا.. فور الانتهاء من عشائنا.. سوف نقوم بعمـلية بحث دقيقـة في المنطقة المحيطة بمحطة المترو.. والشوارع المحيطة بها..

أسرع الجميع في الانتهاء من الطعام لإحساسهم بأن وقت العمل قد حـان.. وقاموا مندفعين إلى الباب الرئيسي «للمول»، وهونفس الباب الذي دخلت منه «أميرة» منذ دقائق ولم تغادره بعد.. بل كانت لا تزال تجلس في نفس الزاوية. وقد غلبها النعاس، وانقلب طبق الحلويات الذي لم تكمله في حجرها.. مر بجوارها المغامرون ولكن لسوء الحظ لم

يرها أحد منهم. وتجاوزوا الصغيرة النائمة وانطلقوا للبحث عنها.

* * *

في أثناء تجهيز دراجاتهم للانطلاق وضع «محب» طبق مأكولات نصـيب «زنجر» في العشاء الذي أنهاه في دقائق قليلة. وانطلق الأصدقاء في اتجاه شارع محطة المترو.. وهنا كان محرك السيارة «نصف النقل» قد دار هو الآخر في نفس اللحظة وبنفس السرعة وسارت خلف الأصدقاء وهم لا يعلمون أن الأعرج في أثرهم ينتظر الفرصة لينفذ ما يدور في رأسه.. وقد أطفأ أنوار سيارته!!

(١٢)
الأحداث تتسارع

كانت حركة المرور والناس سريعة بشارع محطة مترو «المعادي» والمنطقة المحيطة بها.. والمغامرون لا يزالون على دراجاتهم يتحركون ببطء.. وأعينهم المدربة على المراقبة والرصد تمسح الطرق والأرصفة.. يتبعهم «زنجر» في نشاط رغم الوجبة الدسمة التي التهمها منذ دقائق. الجميع يتحركون يملؤهم الملل في الوصول إلى ضالتهم الصغيرة الهاربة.

توقف «تختخ» على أحد جوانب الطريق وبإشارة متفق عليها توقف باقي المجموعة خلفه..

تختخ: يجب أن ندخل إلى المحطة نفسها ونلقي نظرة داخلها.

نوسة: صحيح.. لعلها تكون قد قررت ترك «المعادي» عن طريق المترو.

اتفق الجميع.. ونزلوا عن دراجاتهم بعد تأمينها في حراسة «زنجر» وانطلقوا إلى داخل المحطة.

في الجانب الآخر كانت السيارة التي يقودها «الأعرج» قد توقفت هي الأخرى محاذرًا أن يلحظه أحد من المغامرين.. أشعل سيجارة في الظلام ينتظر عودتهم وقد بدا من ملامحه الصارمة أنه قد قرر أمرًا ما.

في هذه الأثناء.. وفي داخل «مول المعادي» كانت الحركة قد هدأت.. وبدأت بعض المحال في إطفاء أنوارها بعد أن قلت حركة المترددين عليها.. و«أميرة» كانت لا تزال تغط في نوم عميق. ولاحظها أحد الحراس المكلفين بحراسة «المول» فنادى عليها: أنت.. أنت.. أيتها الصغيرة!

لم تسمعه «أميرة».. وظلت نائمة..

كرر الحارس: أيتها الصغيرة.. لا يمكنك النوم هنا!! استيقظي..

في تلك الأثناء عاد الأصدقاءإلى دراجاتهم بعد رحلة داخل محطة المترو.. يملؤهم الضيق والحزن لعدم وصولهم إلى «أميرة» الهاربة!

وأثناء ركوبهم الدراجات قالت لـوزة: لعلها عادت إلى منزل الأستاذ «شاكر» مرة أخرى!

محب: صحيح.. ربما تكون قد عـادت للأستاذ «شاكر»!!

عاطف: الحل أن نتصل به تليفونيًا كما اتفق معنا..

تختخ: معي رقم الهاتف.. وها هي كابينة الاتصال!

ترك الجميع دراجاتهم وأسرعوا إلى كابينة التليفون يتمنون سماع أخبار مطمئنة عن «أميرة»!

كل ذلك و«الأعرج» يرقب الموقف.. في انتظار نتيجة ما تسفر عنه حركة المغامرين.

في «المول» كان الحارس قد جلس على ركبتيه يتحدث مع «أميرة» التي استيقظت خائفة رغم محاولات الحارس أن يبدو لطيفًا معها!

الحارس: لا تخافي.. هل ضللت الطريق؟! هل تركت أسرتك وخرجت؟. لا تخافي وأجيبي!

ولكن «أميرة» تسمرت في مكانها.. لا تدري كيف تجيب.. أو بماذا ترد.. كادت تبكي.. وقد بدت الحيرة على وجه الحارس..

الحارس: حسنًا.. لا تبكي.. انتظري.. سوف أخبر النقيب «حسام» لا تقلقي انتظري هنا.. لا تخافي سوف نوصلك إلى أسرتك فورًا..

تركها الحارس وأخرج جهاز اللاسلكي.. وبدأ يتحدث إلى النقيب..

* * *

وخارج محطة المترو كان «تختخ» يضع سماعة التليفون وقد بدت عليه خيبة الأمل.. المكالمة لا تحمل أخبارًا طيبة.. فهم بقية الأصدقاء ما دار بين «تختخ» والأستاذ «شاكر».

نوسة: لن نفقد الأمل.. والشيء المطمئن أن جميع العاملين في محطة المترو قد أكدوا لنا أنهم لم يبيعوا تذاكر لطفلة صغيرة بمواصفات «أميرة»!

عاطف: نعم.. لقد أبدوا الكثير من التعاون معنا فور علمهم بأن إحدى قريباتنا قد ضلت الطريق!

تختخ: حسنًا.. لقد تأخر الوقت.. والأمل لا يزال قائمًا أن «أميرة» لم تغادر «المعادي»!

وفي صوت متفاءل قالت لوزة: قد تبيت ليلتها عند إحدى صديقاتها.. وتعود غدًا للأستاذ «شاكر».. أليس هذا ممكنًا؟

تختخ: طبعًا.. من المحتمل أن ذلك ما حدث يا «لوزة»، اطمئني..أقترح العودة الآن إلى منازلنا.. ونواصل البحث غدا.

اتفق المغامرون على العودة.. فركبوا دراجاتهم وانطلقوا.

كانت الطرق قد هدأت.. ودراجات المغامرين تمضي وخلفهم «زنجر».. وخلفهم «الأعرج».

* * *

وفي نفس الوقت كان الحارس يضع يده برفق فوق كتف «أميرة» يتحدث في جهاز اللاسلكي الذي يحمله.. ويكرر رسالته.

الحارس: آلو آلو.. أنا الرقيب «عبد الرحيم».. تم العثور على فتاة تائهة صغيرة في «مول» المعادي.. ترتدي فستانًا أخضر.. هل هناك بلاغ بغياب فتاة في سن حوالى الثالثة عشرة؟ قد حاولت أن أعرف اسمها ولكنها ترفض أن تجيب عن أسئلتي.. حَوِّلْ.

* * *

دراجات الأصدقاء وصلت أولًا إلى منزل «عاطف» و«نوسة»، فلما اقتربوا من بوابة المنزل.. انفصلت أول المجموعة وتم تبادل تحيات المساء على اتفاق أن المقابلة غدًا في منزل «تختخ».

أكمل بقية الأصدقاء طريقهم.. كانت الطرق الجانبية مظلمة ولكن المغامرين يحفظونها حيث اعتادوا السير فيها طوال سنين.. ومن بعيد كانت السيارة نصف النقل تتحرك هي الأخرى ببطء مطفئة أنوارها تقطع الطرقات المظلمة خلف بقية الأصدقاء.. «لوزة» و«محب» و«تختخ» و«زنجر»!!

في هذه الأثناء حضرت سيارة الشرطة إلى مدخل «المول» الذي كان قد أطفأ أنواره تمامًا.. نزل منها ضابط شرطة واقترب من رجل الأمن الذي عثر على «أميرة»، تقدم في احترام للضابط.. وألقي عليه التحية الرسمية..

الضابط: ما الأمر؟

الرقيب: أثناء تجولي في ممرات «المول» عثرت على فتاة «صغيرة» نائمة.. حاولت أن أتعرف على اسمها أوعنوانها ولكنها انفجرت في البكاء.. فور محاولتي الحديث معها.

الضابط: ربما تكون الفتاة المبلغ بهروبها أثناء نقلها من مكان السرقة التي تمت منذ عدة أيام. أين هي؟!

الرقيب: بالداخل.. خشيت أن ترى سيارة الشرطة فتزيد قلقًا وخوفًا.

الضابط: أحضرها دون أن تخيفها.. انتظر.. سوف أذهب إليها بنفسي!

* * *

بقي «تختخ» وحيدًا يتبعه «زنجر» متجهيْن إلى المنزل.. وبالطبع كان هناك من يتبع الاثنين معًا.. إنه «الأعرج» الذي أصبح يعلم أين يسكن أربعة من المغامرين الخمسة.. وبقى أن يعرف أين يسكن «تختخ» أيضًا.

* * *

تقدم الضابط إلى داخل ممرات «المول» يتبعه الرقيب «عبدالرحيم» وبعض أفراد الحراسة.

الضابط: تقدم يا «عبد الرحيم»!

تقدم الرقيب يتبعه الباقون.. ووصلوا إلى مكان «أميرة» الذي بدا خاليًا. التفت «عبد الرحيم» شمالاً ويمينًا..

الضابط: أين الفتاة؟..

رد الرقيب في حيرة: لقد تركتها هنا منذ دقائق قليلة.. فقط الدقائق التي كنت أروي ما حدث لسيادتك بالخارج.

أخذ الضابط يشير إلى الأفراد: بسرعة.. انتشروا في كل مكان.. اعثروا على الفتاة.. لا أريدها أن تختفي مرة أخرى.. ولكن دون أن تثيروا خوفها.. بسرعة.

تفرق الأفراد في خفة وسرعه في ممرات «المول» الكبير وأبوابه الكثيرة في محاولة لتضييق فرصة الهروب على «أميرة»..

* * *

وفي هذه الأثناء كان «تختخ» قد وصل إلى القيلًلا.. نزل عن الدراجة في رشاقه رغم سمنته يسبقه «زنجر» إلى درجات السلم.. أطفأ «تختخ» أنوار المدخل الرئيسي وأمَّن الباب الرئيسي للقيلًلا يدفع الدراجة أمامه بيده.. ويضعها في مكانها المعتاد بجوار غرفة الاجتماعات، وبدأ في صعود درجات السلم.. وفجأة نزل «زنجر» مرة أخرى إلى الباب الحديدي وأطلق نباحًا طويلًا دون توقف.. اندهش «تختخ» لتصرف «زنجر».. نزل مرة أخرى.. وأطل برأسه من أعلى الباب يرقب الشارع المظلم والخالي.. لم يجد ما يدل على تصرف «زنجر» وإن كان يثق أن هناك شيئًا ما يحدث..

اتجه تختخ مرة أخرى للسلم.. ونـادي: «زنجر».. «زنجر».. هيا..

أخذ «زنجر» يزوم بشدة في الظلام.. ورفض أن يصعد مع «تختخ» واستمر في النباح..

انتظر «تختخ» قليلًا.. يرقب المكان الهادئ.. ولكن لم يكن هناك ما يلفت انتباهه أو يبرر تصرف «زنجر» الغريب..

نادى على «زنجر» مرة أخرى بنبرة يفهمها «زنجر» جيدًا أنه سوف يغلق الباب ويجعله يبيت ليلته بالحديقة..

فصعد «زنجر» السلم مطيعًا أوامر صاحبه.. فدَخَلا القيلَّلا.. وأطأ تختخ الأنـوار.. لتصبح القيلَّلا في ظلام دامس!

أضاء «تختخ» نور غرفته ويبدأ في استبدال ملابسه.. ورغم ذلك استمر «زنجر» في إطلاق موجات صغيرة مكتومة من التوتر والغضب.. ورفض كل محاولات «تختخ» لإسكاته.. مما اضطره لفتح باب الشرفة ليراقب الحديقة الساكنة التي يسودها الظلام.. وما أن ركن ذراعيه على سور الشرفة وأطلق شعاعًا رفيعًا من كشافه القوي على أحد أفرع الشجرة المقابلة حتى وقع على عينين واسعتين تلمعان في الظلام..

جعلت المفاجأة الكشاف يسقط من يد «تختخ» ليسمع صوتًا غليظًا في الظلام..

يحذره: «احترس.. هذا مجرد تحذير.. المرة القادمة لن أرحمك..فهمت.. لا تتبعني.. لا تبحث عني.. لا تبلغ الشرطة..». ثم جرى الرجل في الظلام.. وهنا كان «تختخ» قد استدار ونزل السلم بسرعة يسبقه «زنجر» الذي قفز ممسكًا بطرف سروال «الأعرج» الذي عالجه بضربة قوية سريعة من قدمه وقفز من فوق السور الخلفي.. واختفى في الظلام.

(١٣)
الأمور تتغير

بين عربتين كبيرتين من عربات جمع القمامة.. اندست «أميرة» بجسدها النحيل واختفت عن أعين رجال الشرطة.. الذين غادروا المكان بعد أن يئسوا من الوصول إليها.. كانت ترتعش من الخوف ظنًا منها أن الشرطة قد أتت للقبض عليها ومعاقبتها على جريمة السرقة التي لم ترتكبها.. الساعة تجاوزت منتصف الليل.. والشوارع شبه خالية.. وأعين «أميرة» تلمع في ظلام مخبئها بعد أن اطمئنت أنه ليس هناك أحد يتبعها..

كادت تستسلم للنوم لولا أنها أحست أن هناك حركة ما بجوارها في الظلام.. حدقت عيناها في خوف.. واكتشفت أن هناك كلبًا صغيرًا قد تسلل هو الآخر بحثًا عن شيء يأكله في صناديق القمامة.. قفزت من الخوف.. وكتمت صرختها.. وتحركت ببطء تسحب جسدها من بين العربتين حتى وضعت

قدماها على أسفلت الشارع ولم تجد بدًا من الابتعاد مسرعة خوفًا من مطاردة الشياطين التي لم تكن قد ابتعدت كثيرًا عن مكانها..

* * *

في هذه الأثناء كان «تختخ» قد عاد مرة أخرى إلى غرفته.. وبدأ في وضع بعض المطهرات لـ «زنجر» الشجاع الذي قد أصيب في فمه من أثر ركل «الأعرج» قبل أن يقفز من فوق السور..

وبعد قليل سمع «تختخ» دقًا على باب الغرفة.. فشعر ببعض الارتباك. وقال: تفضل! فدخل والد تختخ وبدا منزعجًا.

الوالد: ماذا يحدث يا «تختخ»!! لقد سمعت ضجيجًا بالحديقة.. وماذا أصاب «زنجر»؟!

تختخ: لا تقلق يا أبي.. لقد دخل كلب إلى الحديقة أثناء عودتنا من الخارج.. فاشترك مع «زنجر» في معركة.. فأصيب بإصابة طفيفة في فمه.

الوالد: والطرف الآخر؟!

تختخ: لقد نفد بحياته.. وآثر الهرب..

والـده: حسنًا.. سوف أذهب لأطمئن والدتك.. أتريد شيئًا!!

تختـخ: شكرًا يا أبي.. تصبح على خير..

أغلق والده الباب وترك «تختخ» وقد غرق في تفكير عميق.

* * *

في تلك الأثناء وصلت السيارة نصف النقل إلي حارة ضيقة في إحدى المناطق الشعبية ونزل منها الأعرج يتلفت حوله ثم دخل مسرعًا في إحدى العمارات القديمة.

وفور دخوله الشقة فتح درج صغير أخرج منه علبة قطيفة... فتحها في حرص ووضعها عى المائدة. حيث جلس يتأمل الخاتم الماسي يملع في ضوء الغرفة العتيق.

فجأة سمع الأعرج دقات قوية على الباب فأغلق العلبة وخبأها في مكانها وقال: من؟ من بالباب؟

أجابه الطارق: أنا... افتح.

تعرف الأعرج على صوت الزائر ففتح له الباب.

الزائر: أين كنت طوال اليوم..؟! هذه المرة الرابعة التي أمر عليك فيها.

بصوته العميق الخشن يقول «الأعـرج» : لقد تطور الموقف كثيرًا.

الزائر: أي موقف؟!

«الأعرج» : ذلك الفتى السمين..

الزائر: هل عثرت عليه..؟

الأعرج: وعرفت أين يقيم أيضًا.

الزائر: صدفة غريبة!

«الأعرج» : ليست صدفة.. لقد قمت بمراقبته طوال مساء اليوم هو وأصدقاؤه..

الزائر: أرجو ألا يكون قد أحس أنك تتبعه.

«الأعرج»: بل أكثر من ذلك.. لقد تعاركنا.

الزائر: ياه!

الأعرج: نعم.. لقد تابعته إلى منزله.. وصعدت إلى غرفته عن طريق شجرة قريبة من شرفتها وقمت بتهديده.

الزائر: من المؤكد أنه أصابه الرعب!! أو سقط مغشيًا عليه!

ابتسم «الأعرج»: لن تصدقني إن قلت لك كم هوفتى شجاع وجريء!

الزائر: ماذا؟! شجاع!! وجريء..

الأعرج: لقد حول مفاجئتي له.. إلى صدمة لي.. هل تصدق ذلك؟!

الأعرج: لقد طاردني ذلك السمين.. وهبط درجات سلم منزله في ثوان في شجاعة لا تصدقها.. بل أكثر من ذلك لقد عضني كلبه المتوحش في قدمي..

الزائر: ماذا تقول.. ولد صغير وسمين أيضًا.. فعل كل ذلك.. ومع من.. معك أنت..؟!

الأعرج: لكم أنا معجب به.. هل تصدق ذلك؟ يحاول أن يتعارك معي ويمسك بي في الظلام.. ولم يخفه من أكون.. وأية أسلحة أحملها!

الزائر: غريب أمر هذا الولد الصغير..

الأعـرج: ليس هوفقط بل باقي أصدقائه الصغار.. يتحركون في خفه.. وبذكاء.. وبأسلوب منظم..

الزائر: هل تفكر في الانضمام إليهم؟!

الأعرج: رغم إعجابي بهؤلاء الأولاد.. ولكني لن أدعهم يقفون في طريقي أكثر من ذلك.. لقد كنت طيبًا معه هذه المرة.. ولكن في المرة القادمة.. سوف أجعله يندم أشد الندم

* * *

في الصباح.. وفي غرفة الاجتماعات جلس المغامرون الخمسة وقد سيطر عليهم القلق والتوتر بعد أن روى لهم «تختخ» أحداث ليلة الأمس بينما كانت «لوزة» قد جلست على الأرض بجوار «زنجر» الذي ملأه الفرح بعبارات الثناء وبلمسات الحب والتشجيع من باقي المغامرين..

عاطف: أظن أنه قد حان الوقت لإبلاغ الشرطة!

محب: نعم.. لقد تطور الموقف بسرعة.. و من الواضح أننا نواجه مجرمًا محترفًا..

نوسة: أخشى أن ينفذ تهديده في المرة القادمة..

قاطعهم تختخ: أخالفكم الرأي!!

ينظر إليه الجميع في دهشة..

لوزة: كيف ذلك يا «تختخ».. ألا تخشى أن يؤذيك ذلك اللص..؟ لقد هددك فعلًا..

تختخ: من قرر أن يؤذي شخصًا.. لا ينذره أولًا..

أكمل «تختخ»: إنه الشخص الخائف.. وليس نحن.. هو السارق.. وكل ما يتمناه ألا نصل إليه.. أو ندلي بمعلومات جديدة عنه تساعد الشرطة في الوصول إليه!

نوسة: ولكن طالما أنه هارب من العدالة.. فالدلائل تشير جميعها إلى أن «أميرة» هي المتهمة.

تختخ: وهذا ما يريده «عليجة».. أن تظل التهمة ثابته على «أميرة».. التي هي من ناحية أخرى خائفة وهاربة ويصعب إثبات براءتها وهي هاربة..

محب: إذن لقد أصبحنا مهددين من عدو يعرف كل شيء عنا.. ونحن لا نعلم عنه أي شيء!!

عاطف: الخوف هو أن يكرر محاولة الاعتداء مرة أخرى..

* * *

رغم أن الشمس كانت تملأ شوارع «المعادي» في منتصف اليوم إلا أن «أميرة» كانت لا تزال غارقة في نوم عميق تحت شجرة كبيرة.. بإحدى الحدائق العامة القريبة من مول «المعادي».. وفي مسافة ليست بعيدة كانت هناك

مجموعة من المصورين السينمائيين ومعهم مخرجة شابة يدورون بالكاميرا ويقومون بتصوير أحد البرامج الاجتماعية عن أطفال الشوارع والطفولة الضائعة.. يقتربون من «أميرة» النائمة التي لم تشعر بوجودهم يقومون بتصويرها أثناء النوم..

بعد أن أنهوا التصوير قالت المخرجة: ستوب.. توقف..

تقدمت المخرجة الشابة من «أميرة» وتربت على كتفها في حنان.. فقد شد انتباهها إلى أن الملابس التي ترتديها جديدة وغالية.. رغم ما علق بها من أتربة.. كذلك علامات البراءة والخوف الذي ملأ وجهها رغم أنها تَغُطُّ في نوم عميق..

اقترب المصور الذي يحمل الكاميرا وقال للمخرجة.. مسكينة هذه الصغيرة.. يا ترى ما الظروف التي اضطرتها إلى النوم هكذا في حديقة عامة؟!..

المخرجة: أحس أنها مختلفة عن جميع الأطفال الذين قمنا بتصويرهم خلال برنامجنا!

المصور: معك حق.. حتى ملابسها وحذائها يدلان على أنهامختلفة..

فتحت «أميرة» عيناها بصعوبة.. ولكنها عاودت غلقهما مرة أخرى بسبب شدة الشمس..

المخرجة: صباح الخير..

فتحت عينيها ونظرت إليها.. ولم ترد..

المخرجة: ألا تشعرين بالبرد طوال الليل دون غطاء؟!

قالت «أميرة» بخوف: نعم.. أشعر بالبرد؟!

المخرجة: أتريدين شرب شيء دافئ.. سوف أحضر لك بعض الشاي..

المصور: سوف أحضره بنفسي.. انتظري!

عاد حاملًا كوبًا من الشاي الساخن.. وناوله إلى «أميرة» التي مدت يدها دون تردد.. وبدأت في شربه رغم سخونته. وقفت المخرجة والمصور يرقبانها..

المصور: سوف أحضر لكِ شيئًا تأكلينه..

المخرجة: ماذا أتى بك إلى هنا..؟ أليس لك أهل أو أسرة..؟!

ولكن «أميرة» لم ترد..

عاد الرجل حاملًا طبقًا به بعض الأطعمة.. ناوله لأميرة التي بدأت في الأكل على الفور..

تبادلت المصور والمخرجة نظرات يملؤها الحنان على الصغيرة الوحيدة..

المخرجة: لقد قمنا بتصويرك.. وهذا البرنامج سوف يذاع قريبًا.. فمن الممكن أن يراه أحد من أهلك أومعارفك ويتعرف عليك..

أكملت أميرة أكلها دون أن ترد..

المخرجة: حسنًا.. سوف نرحل!

حدقت بها «أميرة» دون أن تتوقف عن الأكل..

«أميرة»: شكرًا لكما!

بدأا غادران المكان وهما يتلفتان وينظران تجاه «أميرة».. يتجهان إلى سيارة التصوير.. ولما تحركت السيارة في بطء مغادرة المكان.. فجأة سمع الجميع صوت طرق على مؤخرة السيارة.. توقف السائق.. فتح المصور الباب ليجد «أميرة» قد لحقت بهم ولا تزال تحمل باقي الطعام.

أميـرة: إلى أين تذهبون؟!

المخرجة: سوف نقوم بإكمال التصوير!

أميـرة: هل من المُمكن أن أصحبكم؟!

تبادل الجميع النظرات..

المصور: ألن يسأل أحد عليك هنا.. أويأتي للبحث عنك؟!

هزت «أميرة» رأسها نفيًا..

المخرجة: حسنًا.. ادخلي..

تهلل وجهها بالفرح وألقت بنفسها داخل السيارة..

(١٤)
صراع على الطريق

في أحد المحلات الشهيرة بشارع ٩ كان اجتماع المغامرين الخمسة الذين التفوا حول إحدى الموائد وأمامهم أطباق الآيس كريم.. وعصير الليمون.. يتبادلون الحديث.

نوسة: هل تظنون أن«عليجة» يقيم بـ «المعادي».. أو بإحدى المناطق القريبة من هنا؟!..

محب: سؤال مهم.. وهذا يطرح سؤالًا آخر..هل كان حضور«عليجة» وقت حدوث السرقة محض صدفة..؟ أم كان بترتيب مسبق..؟

عاطف: أتقصد أنه كان يراقب السيدة صاحبة الخاتم وانتظر اللحظة المناسبة للسرقة..!

نوسة: أعتقد أن «تختخ» يستطيع أن يرد على هذا السؤال أو على الأقل يستنتج الإجابة..

ثم نظروا جميعًا إلى «تختخ» الذي صمت للحظة..

تختخ: أعتقد أن تواجده في تلك اللحظة كان بمحض الصدفة..لأن السيارة التي صدمت السيدة كانت مارة بالصدفة.. وبالمناسبة كان يقودها المستشار «رجائي عويس» وعندما سقطت السيدة انتهز «عليجة» الفرصة وأسرع وسرق الخاتم..

لوزة: ولكن هذا لا ينفي احتمال أنه كان يراقبها منذ خروجها من محل الجواهرجي وتبعها حتى صدمتها السيارة بالصدفة كما حدث مع «تختخ»..!

هنا سكت الجميع لحظة وتركزت أنظارهم ناحية«لوزة»!

تختخ: هذه ملاحظة مهمة للغاية أيتها المغامرة الصغيرة!!

نوسة: لماذا؟!

تختخ: إن استنتاج «لوزة» لوكان صحيحًا.. فهذا يؤكد أن «عليجة» يتردد على شارع ٩ دائمًا في انتظار فرصة مناسبة للسرقة!

* * *

في هذه الأثناء كانت «أميرة» تطل برأسها من نافذة السيارة وهي تقطع شوارع «المعادي» وقد بدت علامات السعادة على وجهها الرقيق وهي تراقب حركة الشارع، ونسيت للحظات أن البوليس يطاردها..كذلك نسيت أمر اللص الحقيقي.. بل نسيت للحظات قصة السرقة بأكملها.

المصور: هل تريدين مزيدًا من الطعام..؟

أميرة: لا.. أشكرك يا سيدي..

المصور: ما اسمك؟

أميرة: اسمي أميرة.

المخرجة: إذن اسمك «أميرة»!

أميرة: نعم..

المخرجة: أليس لك أقارب هنا في «المعادي»؟!

أميرة: لا..

المصور: إذن..كيف وصلت إلى هنا..؟

أميرة: إنني أمشي كل يوم مسافات طويلة.. وأقف في أي مكان يعجبني.. إلي أين نحن ذاهبون الآن..؟

داعبها المصور: هل هذا يهمك؟!

أميرة: طبعًا ولكني ظننت أنكم ذاهبون إلى «الإسكندرية»؟!

ضحكت المخرجة: «الإسكندرية»!! ولماذا «الإسكندرية» بالتحديد..؟ هل لك أقارب هناك؟!

أميرة: لا أعرف.. ربما.. ولكنني سمعت أنها مدينة جميلة وبها بحر كبير..وأحلم بزيارتها..

المخرجة: ألم تذهبي إلى هناك من قبل؟!

أميرة: لا.. وحتي لا أعرف شكل البحر!!

قال المصور بتعجب: حقًا.. ألم تشاهدي البحر من قبل..؟!

قالت أميرة ببساطة: لا مطلقًا يا سيدي!

المصور: إنني أصدقك.. ولكني مندهش أنك لم تشاهدي البحر من قبل!!

المخرجة: ربما الأسبوع القادم سنقوم بتصوير حلقة على أحد شواطئ «الإسكندرية» وأعدك أنك ستكونين ضيفة هذه الرحلة.

أميرة: حقًا يا سيدتي..؟

المخرجة: نعم.. إن شاء الله..

عاودت «أميرة» النظر مرة أخرى من النافذة وقد ازدادت سعادتها.. ولكن أثناء توقف السيارة في إحدى إشارات المرور.. وقع نظرها على ما جعلها تصرخ..

أميـــرة: أوقف السيارة!

السائق: ماذا؟!

أميـــرة: أرجوك.. أوقف السيارة..أريد النزول..

قالت المخرجة بدهشة: لماذا يا «أميرة»؟!

مدت أميرة يدها على مقابض الباب وقالت: أرجوك.. اطلبي منه أن يوقف السيارة..

المصور: لماذا؟.. ماذا حدث؟!

أميـــرة: أشكركما..ولكن أريد النزول فورًا..

المخرجة: حسنًا..حسنًا.. انتظري حتى تتوقف السيارة.. أرجـوك ياعم «حسين» توقف على جانب الطريق..

قبل أن تتوقف السيارة كانت «أميرة» قد فتحت الباب ونزلت وغابت وسط المارة..

تبادل المصور والمخرجة النظرات في دهشة.. وهـما يراقبان «أميرة» وهي تختفي عن أعينهما وسط الزحام..

السائـق: أستاذة «وفاء» هل أتحرك..؟

وفـــاء: انتظر لحظة يا عم «حسين»..

المصور: لماذا الانتظار..؟

وفـــاء: ما الذي حول تفكيرها بهذه السرعة..؟! لقد كانت في قمة السعادة حينما أخبرتها عن رحلة «الإسكندرية»..

المصور: أمر محير.. هل ترغبين أن ألاحقها..؟

وفـــاء: أرجوك يا «أحمد».. إن أمر هـذه الفتاة غريب.. فقـط أريد أن أعـرف ما الذي استوقفها..؟ ولماذا طلبت مغادرة السيارة بهذه السرعة..

فتح المصور باب السيارة ونزل منها.

أحمـــد: حسنًا يا «وفاء» اتبعيني..

كانت «أميرة» تسير بخطوات بطيئة.. وكأنها وصلت إلى ما كانت تحاول اللحاق به وتمشي خلفه.. إنه الأستاذ «شاكر».. يمد يده بعصاه البيضاء.. فيفسح له المارة الطريق ويساعده البعض في تخطي العقبات..ارتسمت على وجهها علامات السعادة والرضا وهي تسير وراءه وهولا يدري بوجودها..

في أحد التقاطعات الرئيسية بالشارع وقف «شاكر» على حافة الرصيف ورفع عصاه في الهواء طلبًا للعبور.. وهنا تقدمت «أميرة» إليه ومدت يدها الصغيرة وأمسكت بيده الأخرى.. ضغط «شاكر» على يدها.. فقد عرف أنها هي. أطبق يده بشدة وحنان على يدها الرقيقة.. فرفعت يدها الأخرى مشيرة للسيارات أن تتوقف وسحبته بلطف وعبرت به الطريق وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه..

* * *

أثارت تصرفات «أميرة» تعجب ودهشة المخرجة «وفاء» وزميلها المصور «أحمد».. اللذين كانا لا يزالان يتتبعان «أميرة» من على بعد..

وفاء: من هذا الرجل الذي صاحبته «أميرة»..؟!

أحمد: لا أدري.. ولكن بالتأكيد هي تعرفه جيدًا!

وفاء: وهوأيضًا يعرفها.. فهي حتى لم تسأله إلى أين يريد الذهاب.. من المؤكد أنها تعرف بالتحديد المكان الذي يقصده ذلك الرجل الكفيف..

أحمد: هل ستتبعهما أكثر من ذلك..!

وفاء: بعض دقائق أخرى..

أحمد: لا تنسيْ أن عم «حسين» في السيارة.. وعندنا شغل متأخر..

مبتسمة.. «وفاء»: معك حق، الحمد لله.. أشعر بالارتياح أن «أميرة» قابلت أحد معارفها أوأقاربها.

أحمد: وأنا أيضًا كنت أشعر بالقلق عليها.. وهذا الرجل يبدو عليه الاحترام والثقة!..

قال شاكر أميرة معاتبًا: أين كنت يا «أميرة»..؟ أنا غاضب منك.. أهكذا تتركينني وتتركين دادة «محبوبة» حتى دون وداع..!!

أميرة: معك حق أن تغضب مني.. أنا كنت خائفة لأني علمت أن البعض قد جاء للبحث عني..

شاكر: إن من أتى للسؤال عنك.. هم بعض الأصدقاء من سنك تقريبًا.. وكانوا قادمين لإثبات براءتك.. كانت معهم صديقتهم بنت صغيرة تحمل لك علبة من الحلويات!

أثناء ذلك الحديث كان المصور «أحمد» والمخرجة «وفاء» على وشك الانصراف.

أحمد: أظن أنه يمكننا الانصراف.. فمن المؤكد أن هذا الرجل هو أحد أقرباء «أميرة».. تعالي نعود للسيارة!

وفاء: معك حق!!

قبل أن يرجع «أحمد» و«وفاء» في اتجاه السيارة.. كان هناك من يرقب الجميع.. إنه قائد السيارة نصف النقل «عليجة» وبجواره صديقه الأصلع.. وقد لمعت عيناه وهو يرقب «أميرة» على الجانب الآخر من الشارع.

«عليجة»: أظن أنها فرصة العمر.. فهذا الرجل الضرير لن يمنعني من خطف الفتاة..

زميله: طبعًا.. الشارع شبه خالٍ.. انطلق أنت..وسوف أتولى أنا قيادة السيارة..

«عليجة»: دع المحرك دائرًا.. ثوان وأعود ومعي البنت.

ثم نزل من السيارة واستعد لعبور الشارع متجهًا إلى «شاكر» و«أميرة» التي وقع بصرها على«عليجة» وهو يتقدم نحوها بسرعة فائقة..

صرخت «أميرة»: هوَّ.. هوَّ.. إنه هوَّ.. أنقذني يا أستاذ «شاكر».. إنه آت.. أنقذني أرجوك!

شاكر: من..؟ من يا «أميرة»؟!

تركت أميرة يد «شاكر» وهربت ووقفت خلفه مذعورة.. وقد أخرستها المفاجأة..

ولكن «عليجة» إليها ومد يديه القويتين وأمسك الفتاة وحملها عنوة..

رفع «شاكر» يديه ولطم «عليجة» لطمة قوية ولكنها لم تؤثر في بنيانه القوي..

دفع «عليجة» «شاكر» بقوة أفقدته توازنه وكاد يسقط على الأرض..

«أميرة»: أنقذوني.. أنقذوني!!

حملها «عليجة» وعبر بها الشارع متجهًا إلى سيارته..قبل أن يفتح الباب.. فجأة انشقت الأرض عن المصور «أحمد» الذي صوب لكمة قوية إلى وجه «عليجة» فأذهلته المفاجأة،

يسقط على أثرها.. وتفلت «أميرة» من يده.. مسك «عليجة» «أحمد» من قدمه فأسقطه على الأرض هو الآخر.. وأخذا يتبادلان اللكمات.. ولحقت به «وفاء» التي لم تقف ساكنة.. فأخرجت فرشاة شعر من حقيبتها وهوت بها بقوة على رأس«عليجة» الذي صرخ ألمًا.. وابتعد عن «أحمد»..

ولكنها فوجئت بدفعة قوية من زميل «عليجة» الذي تدخل هوالآخر يمد يده مساعدًا «عليجة»..

الأصلع: بسرعة.. بسرعة.. دعنا نهرب.. لقد بدأ المارة في التجمع!

توجه الأصلع مسرعًا للسيارة ففتح بابها وركب..

الرجل: أسرع.. أسرع..

قام «عليجة» مترنحًا من أثر اللطمة وقفز في الصندوق الخلفي للسيارة التي انطلقت وسط المارة بسرعة واختفت عن الأنظار..

(١٥)
هامبورجر ساخن

تجمهر عدد من المارة في موقع الاشتباك واتجه عدد منهم إلى الأستاذ «شاكر» لمساعدته على الوقوف بعد أن سقط من أثر لكمة «عليجة» له.. خاصة بعد أن اكتشفوا أنه كفيف.. بينما كان «أحمد» قد بدأ يعيد تنظيف ملابسه.. ويساعد زميلته الشجاعة «وفاء» التي كانت لا تزال تمسك بزجاجة العطر التي كان لها الفضل الأول في حسم المعركة لصالحهم.. ووسط تعليقات المارة للسؤال والاستفسار عن أسباب الشجار رتفع صوت ربما لا يعرفه أحد من المتواجدين في المكان وإن كان يعرفه المغامرون الخمسة جيدًا.. إنه صوت الشاويش «فُرْقُعْ» الذي صرخ في الجميع وهو يدفع دراجته أمامه..

فُرْقُعْ: ما هذا التجمهر؟! أرجوكم الهدوء والالتزام.. ماذا يحدث هنا؟!

أحد المارة: مشاجرة يا حضرة الشاويش..

آخر: لقد أسقطوا ذلك الرجل الكفيف.. وتلك الفتاة..!

فُرْقُعْ: طيب.. طيب.. من هم أطراف المشكلة..؟

أحد المارة: هذا الشاب الشجاع ومعه هذه الشابة أنقذوا هذا الرجل المسكين وابنته الصغيرة من محاولة خطف.

فُرْقُعْ: خطف.. خطف.. أتقول خطف؟!!

تقدم «فُرْقُعْ» من «شاكر» قائلًا: هل تعرضت ابنتك للخطف حقًا يا أستاذ..؟

يتلفت حول نفسه وحول «شاكر»..

ويضيف فُرْقُعْ: ولكن أين هي ابنتك يا أستاذ؟..

أكمل دون توقف: هل كانت ابنتك معك.. هل لديك أبناء..؟! هل أنت متزوج..؟ ولو أنك متزوج.. أين هي زوجتك..؟ عجيبة.. لماذا لا ترد؟!

تقدم «أحمد» من «شاكر» وقال: عفوًا سيدي.. هل الفتاة التي كانت تمسك بيدك هي ابنتك؟!

صرخ «فُرْقُعْ»: ممنوع.. ممنوع.. غير جائز.. لا أحد يوجه أي أسئلة هنا غيري..!

شاكر: في الحقيقة لا.. ليست ابنتي..

تدخلت «وفاء» في دهشة..

وفاء: أليست «أميرة» ابنتك..؟

فُرْقُعْ: أرجوكِ يا سيدتي.. أنا فقط هنا الذي له سلطة توجيه الأسئلة..!

بدت علامات الدهشة على وجه «شاكر» ودار ناحية «وفاء». وقال شاكر: إذن أنت تعرفين «أميرة»؟!

وفاء: نعم.. وقد اطمئننت حين رأيتها تنزل من السيارة وتمسك في يدك!..

صاح فُرْقُعْ: أية سيارة..؟ وأية «أميرة».. ممنوع الكلام.. ممنوع الأسئلة والأجوبة.. هذا اختصاص الحكومة.. وأنا الحكومة.. سوف يذهب الجميع لنقطة الشرطة.. وهناك سوف نحرر محضرًا رسميًا!

ثم صاح في المارة الواقفين: أطراف المشكلة فقط يتجهون إلى نقطة الشرطة.. ومن لديه شهادة مهمة من المارة.. فقط المارة أيضًا.. أما الباقون أرجوكم أن تنصرفوا من هنا.. انصرفوا أرجوكم.. انصرفوا..

* * *

كانت سيارة «عليجة» تقطع شوارع «المعادي» يقودها صديقه بينما يمسك«عليجة» برأسه يتألم من شدة الإصابة التي لحقت به من أثر لطمه زجاجة العطر التي عاجلته بها «وفاء».

صديقه: من هذا الشاب الذي تدخل وأفسد علينا عملنا..؟!

رد عليجة بألم: لا أدري..؟ أظنه أحد المارة وقد شاهد محاولتي لخطف الفتاة!

صديقه: لا أعتقد.. إن دفاعه بهذا الحماس عن الفتاة وذلك الرجل الأعمى يؤكد أنه على صلة بهما.

عليجة: لقد هاجمني فجأة.. وأفلتت الفتاة بعد أن كانت بين يدي.. وهي الدليل الوحيد على إدانتي.. آه لووقع في يدي.. فسوف ألقنه درسًا لن ينساه!

صديقه: المهم أننا أفلتنا قبل أن يتجمع المارة أويصل إلينا رجال الشرطة..

عليجة: معك حق.. ولكن أين ذهبت الفتاة؟ ومن هوذلك الرجل الذي كانت تمسك بيده؟ هل تظنه والدها؟

صديقه: لقد هربت الفتاة.. نعم.. لقد رأيتها وهي تهرب ولوكان هذا الرجل أبوها لما هربت بل كانت احتمت به ودافعت عنه.

عليجة: معك حق.. لقد تذكرت أنها كانت تناديه الأستاذ «شاكر» فهذا يؤكد أنه ليس أباها. على كل حال سواء كان أباها أولا.. فإنها أفلتت بمعجزة هذه المرة.. أما المرة القادمة فلن تفلت أبدًا!

* * *

بعد أن تفرق الجميع ذهب «شاكر» مع «أحمد» و«وفاء» بصحبة الشاويش «فُرْقُعْ» إلى نقطة الشرطة، وذهب المارة كلٌّ في طريقه، وفي تلك الأثناء، كان المغامرون الخمسة فوق دراجاتهم يعبرون نفس موقع المشاجرة بعد أن هدأ الشارع تمامًا وكأن شيئًا لم يكن..

ومن أحد المحلات المطلة على نفس الشارع والمتخصص في بيع ألوان الرسم ولوازمه خرجت صديقتهم «فريدة» حاملة بعض الأقلام والألوان.. نادت عليهم.. فتوقف المغامرون.. تبادلوا التحية وقال تختخ: صديقتنا الفنانة المشهورة «فريدة»!

فريدة: مرحبًا بالمغامرين الأذكياء.. أين كنتم؟!

نوسه: في جولة قصيرة..

فريدة: جولة بحث..؟

عاطف: الحقيقة نعم..

فريدة: بالتأكيد كنتم تبحثون عن «أميرة»!

لـوزة: إلى جانب أنك رسامة موهوبة.. فأنت في غاية الذكاء يا «فريدة» ما رأيك لو انضممتِ إلينا.. لنصبح المغامرون الستة!

ضحكت فريدة وقالت: الحقيقة أنها صدفه غريبة أن أقابلكم هنا بالتحديد!

تختخ: وما الغريب في ذلك..؟

فريدة: ليتكم حضرتم من قبل!

محب: لماذا؟! بالتأكيد لنساعدك في حمل هذه الأشياء الثقيلة..

فريدة: لا.. لسبب آخر.. سوف أرويه لكم.. منذ دقائق قليلة حدثت هنا مشاجرة.. كان أحد أطرافها السيد «شاكر»

ذلك الرجل الذي أخبرتموني أن «أميرة» الهاربة قد أقامت عنده بعض الوقت..

بدا الاهتمام بوضوح على أوجه المغامرين وقد لمعت أعينهم فور سماعهم اسم «شاكر».. وكانت المفاجأة الكبرى حين روت لهم «فريدة» باقي تفاصيل المشاجرة وماذا جرى فيها وبعدها.

تختخ: هل أنت متأكدة أن ذلك الرجل الذي كان يحاول خطف «أميرة» كان لديه عرج في إحدى قدميه؟!

فريدة: بالتأكيد.. لقد رأيت المشاجرة منذ أن بدأت وحتى رحل الجميع..

تختخ: إذن هو.. بالتأكيد«عليجة»!

قاطعته فريدة: لا.. إن اسمه «زلطة» لقد سمعت الاسم بوضوح حين ناداه صديقه ليهربا حتى لا يمسك بهم المارة.. حتى إنني كتبته فور سماعه حتى لا أنساه..

عاطف: «زلطة» اسم غريب..!

نوسة: بالتأكيد ليس اسمه الحقيقي!!

محب: وحتى إن لم يكن اسمه الحقيقي.. ولكننا توصلنا إلى اسمه «الحركي»!

تختخ: المهم الآن أن نذهب إلى قسم الشرطة.. بالتأكيد سوف نجد هناك أول الخيط الذي سوف يقودنا إلى «أميرة»!

نوسة: نعم.. المهم أن نسرع.. «أميرة» على بعد خطوات من هنا.. وفي نقطة الشرطة سوف نجد من يسهل علينا المهمة..

قفز المغامرون في حماس ونشاط على درجاتهم بعد أن شكر الجميع صديقتهم الذكية «فريدة» على المعلومات التي أخبرتهم بها، وانطلق الجميع في طريقهم إلى مركز الشرطة!

* * *

كانت أقدام «أميرة» الصغيرة تأخذها إلى حيث لا تدري.. فقد تأكدت أن السارق الحقيقي لا يتردد أن يفعل أي شيء حتى تختفي من طريقه.. فهي الشاهدة الوحيدة على أنه هو اللص الحقيقي ولو توصلت الشرطة إليها فسوف يكون لديها من المعلومات ما يمكن رجال الشرطة من الوصول إليه..

أين يمكنها الاختباء الآن؟.. أسئلة كثيرة تدور في رأسها الصغيرة.. لا تجد إجابة.. أصابها التعب من طول السير وشعرت بجوع شديد فهي لا تملك المال لشراء طعام أوحتى مغادرة «المعادي» التي أصبح وجودها في شوارعها يعرضها للخطر.. ماذا يمكن أن تفعله وهي الصغيرة المسكينه وحدها في مثل تلك الظروف الصعبة؟!

توقفت على الجانب الآخر من الشارع سيارة صغيرة نزلت منها سيدة أنيقة كانت تقودها وتقدمت إلى إحدى محلات ألعاب «الفيديو جيم»، دخلت للحظة ثم عادت بصحبة طفلين صغيرين يبدو أنهما ابناها.. وقفت «أميرة» تراقب الأسرة الصغيرة.. بينما الأم تفتح حقيبة السيارة وتخرج منها بعض اللفائف تضعها على الأرض حتى تعيد ترتيب الحقيبة.. ثم بدأت في إعادة اللفائف مرة أخرى إلى السيارة.. حينها دخل الطفلان إلى السيارة كذلك الأم وانطلقت بعيدًا.. وهنا لاحظت «أميرة» أن السيدة قد نسيت كيسًا ورقيًا على الأرض ولم تعده إلى السيارة.. انطلقت «أميرة» والتقطت الكيس وحملته وحاولت الركض وراء السيارة.. وهي تنادي على السيدة ولكنها كانت قد اختفت..

حملت «أميرة» الكيس وعادت به إلى الرصيف مرة أخرى..
كان الكيس دافئًا فتحته بحرص فوجدت به ساندوتش هامبورجر ضخمًا تنبعث منه رائحة شهية فلم تتردد..
أخرجته ورفعته سريعًا إلى فمها.. وكانت المفاجأة.. أن يدًا امتدت بأصابع قوية وأمسكت يد «أميرة» في عنف ومنعتها من أن ترفع الطعام إلى فمها.. وكاد قلبها أن يتوقف من هول المفاجأة..

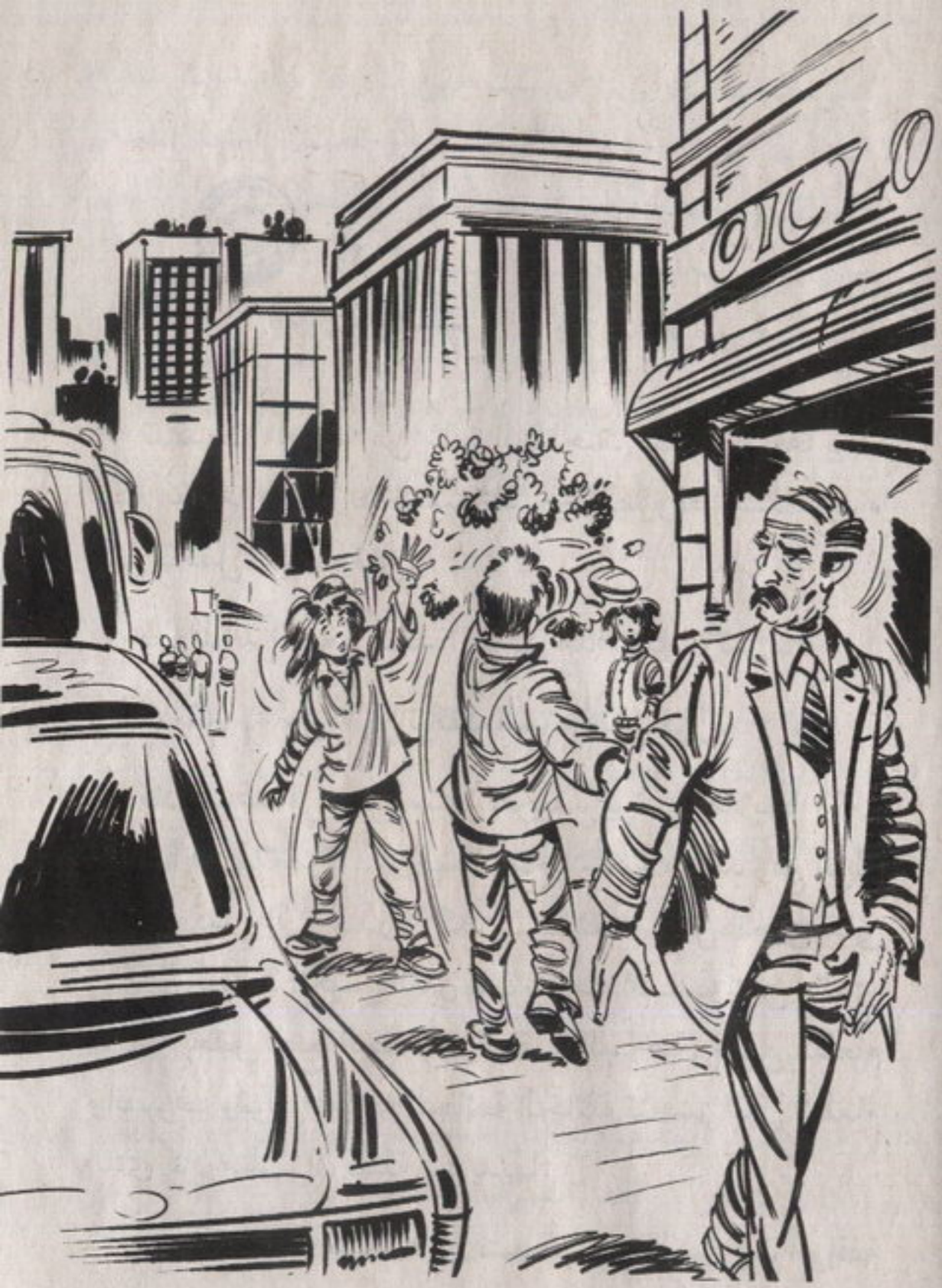

(١٦)
أميرة والملك

تسمرت «أميرة» من شدة المفاجأة..دفعت عيناها ببطء ليقع نظرها على ولد صغير يقف خلفها وقد أمسك بيدها التي تحمل الساندوتش..

قال الولد الصغير بحدة: اتركي هذا الساندوتش..!

لم تقاوم «أميرة» بل تركت الساندوتش فورًا..

كان الولد في مثل سنها تقريبًا.. يرتدي ملابسًا رثة.. وحذاءً قديمًا ممزقًا.. وجهه متسخ وشعره مجعد رفع الولد الساندويتش إلى صدره وكاد أن يحتضنه.. بل انحنى على الأرض ليلتقط الكيس الذي كان بداخله الساندويتش والذي كان به بعض قطع البطاطس المقلية الساخنة. حمل الطعام وانصرف وترك «أميرة» الجائعة الخائفة تتحسر على الطعام الذي كان منذ ثوان قليلة بين يديها.

عادت «أميرة» مرة أخرى تتسحب بين السيارات الواقفة

على جانب الطريق.. جلست على الأرض وأسندت ظهرها المتعب إلى إحدى الأشجار وأرجعت رأسها الصغير للخلف.. وفجأة أحست بحركة فوق كتفها.. وقبل أن تفهم ما يجري وجدت نصف الساندوتش أمام فمها ويد الولد الصغيرة ممتدة به.

بنفس الصوت الحاد قال الولد: خذي..

امتدت يدها بتردد والتقطت نصف الساندويتش.. ولكنها لم تأكل..

الولد: كلي.. لا تخافي!

رفعت الطعام ببطء إلى فمها وبدأت أكله بهدوء.. ثم ناولها الكيس أيضًا!

الولد: خذي أيضًا.. إن به بعض البطاطس المقلية.. ثم جلس إلى جوارها وأسند ظهره هو الآخر على نفس الشجرة وبدأ في تناول نصف الساندوتش الآخر دون أن يتحدث!

* * *

وصل المغامرون إلى قسم الشرطة.. ولكن وصولهم كان متأخرًا.. فقد انصرف الجميع. وكان الهدوء يخيم على المكان.. وراء أحد المكاتب كان الشاويش «فُرْقُعْ»

يجلس وقد انهمك في العبث بشاربه الضخم، ولمعت عيناه بعلامات الانتصار فور أن رأى المغامرين يدخلون القسم وقد بدت عليهم الحسرة والضيق بعد أن اكتشفوا رحيل أطراف الخناقة.

قال الشاويش وهويفتل شاربه: أتريدون تحرير محضر أيها الصغار؟ هل ضاعت إحدى دراجاتكم أوأن كلبكم السخيف قد اختفى وجئتم للبحث عنه؟

تختخ: مرحبًا برجل الأمن الهمام..

الشاويش «علي» هز رأسه واستمر في فتل شاربه.

تختخ: أولًا.. لقد جئنا لنلقي التحية على صديقنا الشاويش «علي» الذكي حارس الأمن المحترم.

رد «فُرْقُعْ» بحزم: هنا قسم الشرطة ولا مكان للمجاملات.. على كل حال أشكركم.. إن كان هذا كل ما جئتم من أجله.. وانصرفوا من هنا.

نوسة: شاويش «علي»..

فُرْقُعْ: نعم..

نوسة: لقد جئنا في خدمة.

فُرْقُعْ: نعم.. وبعد..؟!

عاطف: أنت تعرف بالتأكيد السبب الحقيقي لحضورنا هنا.

هز فُرْقُعْ رأسه وهمهم: الحقيقة.. لا أعرف.

محب: الخناقة.

فُرْقُعْ: أي خناقة..؟!

لوزة: يا شاويش «فُرْقُعْ»... أنت تعمل هنا في قسم «المعادي» منذ زمن طويل.. وتعرف بخبرتك لماذا حضرنا.. وتعرف علاقتنا بالمفتش «سامي».

وقف «فُرْقُعْ» رافعًا يده بالتحية: المفتش «سامي».. هل عاد..؟ تمام يافندم.

ضحك المغامرون وقالت «نوسة»: لا تقلق يا شاويش «علي» لم يعد المفتش «سامي» بعد..

تنهد ورتمي على كرسيه.. ثم عاد إلى نفخته وقال: قُصْر الكلام.. وقتي ثمين.. ماذا تريدون؟!

تختخ: باختصار.. جئنا نستفسر عن الخناقة التي حدثت في شارع ٦٥.

قال فُرْقُعْ في حزم: هل أنتم طرف في المشاجرة؟! هل

أنتم أقارب لأي طرف من أطراف الخناقة؟! بالطبع لا.. هل منكم محام ولديه توكيل عام للاطلاع على المحضر وأنتم تعرفون معنًى محضر شرطة رسمي..

خرج فُرْقُعْ من خلف مكتبه وقف متجهمًا أمامهم وأضاف:

بما أنكم لستم هذا أوذاك أو ذلـك.. فعودوا إلى دراجاتكم.. وإلى منازلكم أيها الصغار.. هيا انصرفوا.. انصرفوا من هنا.. هيا!

حاول المغامرون أن يكتموا غيظهم.. ولم يكن لديهم ما يفعلون سوى الانصراف دون أن يحصلوا على أية معلومات تفيدهم..

قال «فُرْقُعْ» وهو يعبث بشاربه ويشاهدهم وهم يرحلون: القضايا الدقيقة الغامضة.. لا يحلها سوى رجال الأمن الأذكياء.

* * *

في هذه الأثناء كانت «أميرة» قد انتهت من طعامها هي والذي قاسمها الساندوتش..

قال الولد: ما اسمك؟!

أميرة: اسمي «أميرة»!

ضحك الولد: «أميرة»!! ليس بك أي شيء يدل على أنك أميرة.

أميرة: إنه مجرد اسم!..

الولد: بالتأكيد.

سكتا للحظة ثم قال الولد: ولكن هذه أول مرة أقابلك هنا.. رغم أنها منطقة عملي..

اندهشت «أميرة»: منطقة عملك.. إذن أنت تعمل هنا..!

الولد: بالطبع..

أميرة: وأي عمل تقوم به؟!!

نظر إليها مستغربًا وقال: أي عمل..؟ ما رأيك.. مهندس.. ضابط شرطة.. دكتور..!

أميرة: حقًا.. شيء عظيم.. ولكني لم أر مهندسًا صغير السن مثلك ولا ضابط شرطة ولا دكتورًا!

ضحك الولد: أمرك غريب.. أتصدقين أي شيء يقال لك..؟!

أنا أعمل طرف المعلم «كوچاك».. ألم تسمعي عنه من قبل؟!

أميرة: لا.. هل هو أجنبي..؟

الولد: المعلم «كوچاك» .. هل في المنطقة كلها من لا يعرف المعلم «كوچاك»!

أميرة: المهم ماذا تعمل لديه..؟

الولد: كل شيء.. أتسول..

قالت أميرة بدهشة: تتسول..!!

الولد: طبعًا.. ولكن هذا ليس عملي الرئيسي بالطبع..

أميرة: وما هوعملك الرئيسي؟!

قال الولد بتفاخر: النشل..

صرخت.. أميرة: النشل!! إذن أنت حرامي؟!

الولد: لا لا.. نشال.. وهناك فارق كبير بين الحرامي والنشال!!

أميرة: المهم.. ما اسمك..؟

الولد: الملك.

نظرت إليه «أميرة» باسمة وقالت: الحقيقة.. ليس بك أي شيء من الملوك..

الولد: بالطبع.. ولكن المعلم سماني الملك لأني أخطر الولاد في المنطقة!

ضحكت «أميرة» فقال الولد: ما الذي يضحكك...؟

أميرة: منذ دقائق كنا نتشاجر على ساندوتش رغم أننا ملك وأميرة..

* * *

أمام قسم الشرطة كان المغامرون لا يزالون يقفون في حيرة بعد حوارهم مع الشاويش «فُرْقُعْ» الذي رفض التعاون معهم وفضل عدم الإدلاء بأي تفاصيل تساعد المغامرين في الكشف أوالوصول لمكان «أميرة» الهاربة..

محب: وبعد..؟

نوسة: لوكان المفتش «سامي» هنا لساعدنا كثيرًا بدلًا من عناد الشاويش «فُرْقُعْ».معنا..

لوزة: أتصدقون.. رغم رفض الشاويش «فُرْقُعْ» إلا أنني أحبه.. وأحس أنه هوأيضًا يحبنا رغم عناده معنا

ورفضه التعاون في بعض الأحيان.. لكنه رجل طيب.. ورجل أمن نشيط وذكي.

تختخ: فعلًا.. أنا أيضًا أحبه.

نوسة: كلنا بالطبع نحبه.. ولكنه يشعر بالغيرة منا في بعض الأحيان..خاصة حينما تبدو عليه العصبية ويصرخ فينا.

قلدت صوت فُرْقُعْ: من هنا.. انصرف أنت وهو!

عاطف: وبعد.. ما هي الخطوة التالية للوصول إلى أية معلومات عن «أميرة»؟!

تختخ: الأستاذ «شاكر»، فهو رجل طيب.. وطلب منا أن نزوره.. كما أنه طرف في الخناقة.

محب: والأهم أنه مقتنع ببراءة «أميرة».

تختخ: إذن.. هيا بنا إلى منزل الأستاذ «شاكر».. فقد نجد عنده شيئًا لا نعرفه.

* * *

في هذه الاثناء كانت «أميرة» قد غلبها النعاس بعد ذلك اليوم المليء بالمفاجآت والخناقات.. وكان صديقها الجديد

«الملك» قد تركها منذ لحظات ولم يخبرها إلى أين يذهب، فقررت أن تستلقي تحت إحدى الأشجار وتنام قليلًا..

ولكن فجأة ظهر الملك قادمًا ينادي عليها من بعيد.. حاملًا علبتين من المياه الغازية ناولها إحداهما..

الملك: خذي.. اشربي.. فالجو حار جدًا!

لكنها لم تأخذها أوحتى تمد يدها..

الملك: خذي.. إنها باردة ولذيذة.

أميرة: من أين حصلت عليها؟ هل سرقتها؟

الملك: ولماذا السؤال؟

أميرة: لا أستطيع ان أشرب شيئًا مسروقًا..

ضحك الملك: «اطمئني».. إنها من كشك المشروبات، صاحبه «أبو والى» وهو رجل طيب ولكنه مشلول.. وأنا أساعده في حمل صناديق المياه الغازية.. أونقل الثلاجة الخاصة بالمشروبات فهي ثقيلة وهو لا يستطيع تحريكها بمفرده..

أميرة: وهو مقابل ذلك يعطيك هذه المشروبات؟

الملك: بالضبط.. والآن خذيها.

مدت يدها وشربتها..

أميرة: أشعر برغبة في النوم.. إنني متعبة.. سوف أنام هنا قليلًا!

أشارت إلى أسفل الشجرة..

الملك: تنامين هنا؟ ليس هناك نوم بالشارع بعد الآن.. فسوف تنامين في سرير نظيف ومريح أيضًا.

أميرة: كيف هذا..!! وأين..؟

الملك: هيا.. هيا..دعينا نذهب إلى المعلم «كوچاك» فهو رجل طيب، وسوف تجدين هناك الكثير من الفتيات في مثل سنك.. هيا تحركي.

أميرة: وكيف أذهب إليه وأنام عنده وهولا يعرفني؟!

الملك: المعلم رجل طيب.. وهولا يرفض لي طلبًا.. هيا..

ومد يده وسحب «أميرة» من يدها دون أن يترك لها فرصة في الرفض أوحتى في التفكير..

..... البقية في الجزء الثاني.....

(١٧)
عواء في الظلام

كان ترحيب دادة «محبوبة» بالمغامرين الخمسة حارًا.. قابلتهم في ودٍّ وأجلستهم بالصالون واستأذنت لإبلاغ الأستاذ «شاكر» بحضورهم.. وبعد لحظات ظهر «شاكر» مرتديًا ملابس منزلية يعلوها روب أنيق.. سبقه صوته مرحبًا بالمغامرين..

نهض الأصدقاء وبادلوه التحية.

شاكر: أشكر لكم هذه الزيارة.

نوسة: نحن نسعد بزياتك يا أستاذ «شاكر».

شاكر: وأشكركم أيضًا على هذه الورود الجميلة.

مد «شاكر» يده للأمام ليأخذ الورد الذي كانت تحمله «لوزة» يتبادل المغامرون النظرات في دهشة.. كيف عرف «شاكر» أنهم يحملون وردًا رغم أنه فاقد البصر؟!

شاكر: أظن من السهولة على أولاد أذكياء مثلكم أن يعلموا أنني عرفت بأمر الورد من رائحته الذكية منذ دخولي الغرفة.

محب: ولكن بهذه السرعة؟.

شاكر: وأنا صغير عشت بالإسكندرية.. كان أبي ضابط شرطة وقتها.. كانت لنا حديقة صغيرة بالمنزل مزروعة بالورد وكنت أقوم برعايتها والاعتناء بها.

لوزة: رغم أنك..

ابتسم شاكر وقال: تقصدين فاقد البصر.. الحقيقة كان هذا قبل أن أفقد بصري!

لوزة: آسفة..

شاكر: لقد أحضرتم «ورد بلدي» وعصفور الجنة.

تبادل الجميع نظرات الإعجاب..

محب: المهم يا سيد «شاكر» أن تخبرنا عن ألوانه..!

يضحك الجميع وتمر لحظة صمت قصيرة يقطعها..

شاكر: أعتقد أن محاولة خطف «أميرة» السبب وراء زيارتكم..؟ أليس كذلك؟

تختخ: أحد الأسباب وليست السبب الوحيد..

شاكر: المهم.. كيف عرفتم بأمر هذه المحاولة؟!

عاطف: لنا مصادرنا الخاصة سيدي..

شاكر: هذا ليس بمستبعد عليك يا «عاطف»..

تختخ: عرفنا أن الذي هاجمك شخص أعرج يا أستاذ «شاكر»

شاكر: فعلًا.. لقد أخبروني بذلك.

نوسة: هل تعلم سيادتك أن نفس الشخص سبق أن هاجم «تختخ»؟!

شاكر: حقًا؟ إذن هناك سابق تعارف بينكم.

محب: حينما علم أننا نحاول العثور على «أميرة».. وإثبات براءتها.. حاول تهديد «تختخ» ليجعلنا نبتعد عن طريقه حتى تظل «أميرة» متهمة في نظر الشرطة والجميع ويظل هو بعيدًا عن الاتهام!

شاكر: وحينما فشل في ذلك قرر أن يقوم بخطف «أميرة».

تختخ: نعم.. هذا ما حدث بالضبط.

دخلت دادة «محبوبة» حاملة بعض الحلوى والمشروبات ووضعتها أمامهم، فقامت «لوزة» تحمل أحد الأطباق وتضعه برفق في يد الأستاذ «شاكر».. وتعود لتجلس بجواره..

شاكر: وهل أبلغتم البوليس بواقعة التهديد هذه؟

تختخ: لا!

شاكر: أعتقد أنه من المهم أن تكون الشرطة على علم بكل ما يجري لأنه بالتأكيد أن كل هذه الخيوط ستفيدهم للوصول إلى الجاني الحقيقي!

وفجأة ارتفع صوت دادة «محبوبة» تنادي من الداخل: أستاذ «شاكر».. أستاذ «شاكر»!

شاكر: ماذا هناك.. خير يا دادة..؟!

محبوبة: «أميرة».. «أميرة» هنا.. هنا!!

شاكر: أين يا دادة؟.. أين «أميرة»؟!

محبوبة: هنا.. هنا.. احضروا إلى هنا بسرعة..!!

اندفع الجميع إلى الغرفة الداخلية المخصصة لدادة «محبوبة» التي كانت تجلس أمام جهاز التليفزيون الذي يعرض الحلقة التي صورها «أحمد» و«وفاء» عن أطفال

الشوارع والتي كانت قد صورت مع «أميرة» أثناء نومها بشوارع «المعادي»..

وأشارت إلى شاشة التليفزيون.

محبوبة: أليست هذه هي «أميرة»؟!

نوسة: نعم.. هي!

شاكر: ما الأمر.. أين «أميرة»؟!

تختخ: إنه البرنامج الذي سبق وقام بتصوير «أميرة» أثناء تواجدها بشارع «المعادي» أمام «المول» هناك!

شاكر: نعم.. تذكرت.. لقد أخبرتني المخرجة التي تدعى «وفاء» أن هذا البرنامج سوف يذاع اليوم.

تختخ: لقد علمنا أن هذه المخرجة الشجاعة وزميلها «أحمد» كان لهما الفضل في نجاة «أميرة» من محاولة الخطف..

شاكر: بالطبع.. هذا حقيقي!

تختخ: أستاذ «شاكر».. هل لديك أرقام تليفونات هذه المخرجة أوزميلها المصور؟

شاكر: نعم.. عندي!

تختخ: أعتقد أن لهما دورًا مهمًّا في الوصول إلى مكان «أميرة» أو لديهما معلومات سوف تفيدنا في حل اللغز الذي أخذ منا وقتًا وجهدًا لم يسبق أن قمنا به

* * *

في هذه الأثناء كانت «أميرة» وصديقها «الملك» قد قطعا مسافة كبيرة سيرًا على الأقدام وهنا شعرت بالتعب فجلست على رصيف الشارع..

الملك: لماذا توقفت؟! هيا فالمسافة لا تزال بعيدة..

أميرة: لا أستطيع السير أكثر من ذلك.. أين منزل صديقك هذا؟!

الملك: أولًا هو ليس صديقي.. إنه المعلم.. المعلم «كوچاك».. يجب أن تحفظي اسمه جيدًا..

أميرة: حسنًا.. أين يسكن هذا «الكوچاك»؟!

الملك: المقطم.

أميرة: المقطم!!

الملك: نعم.. ألم تذهبي إلى هناك من قبل؟

أميرة: لا.. هل المسافة لا تزال بعيدة؟!

الملك: الحقيقة نعم.. فنحن الآن في شارع «صلاح سالم» بعدها نصل إلى «المقطم» وبمجرد أن نصعد الجبل نكون قد وصلنا!

أميرة: نصعد جبل.. لم أفكر يومًا في تسلق جبل.. أخشى أن أقع.. أرجوك تعال نعود إلى «المعادي»!

قال الملك وهو يضحك: تسلق جبل؟. ماذا تظنينه.. أن نربط أحبالًا حول أجسادنا.. وتطاردنا الطيور العملاقة.. والثعابين المتوحشة.. أيتها المسكينة.. إنك فتاة ساذجة يا «أميرة»!

أميرة: إذن ماذا تقصد؟

الملك: جبل المقطم ليس صحراء، ففيه بيوت وقصور فاخرة وفي إمكانك أن تري«القاهرة» كلها منه.. والسيارات وجميع وسائل المواصلات تصعده في سهولة ويسر..

أميرة: صحيح؟!

الملك: بالطبع.. يجب أن تصدقيني الآن يا «أميرة».. فنحن أصبحنا صديقين.. لقد تقاسمنا الطعام..

وهذا يمثل عندنا نحن أولاد البلد أقوى درجات الترابط.. ونسميه «عيش وملح».

أميرة: وأنا أثق بك يا «ملك».

أمسك الملك ذراعها وأوقفها: إذن تحاملي على نفسك قليلًا.. أنا أعلم أنك تعبتِ.. حسنًا.. جاءتني فكرة.. يمكنني أن أحملك!

أميرة: ماذا؟!

الملك: نعم.. أحملك على ظهري.. فأنا كنت أحمل إخوتي الصغار بهذه الطريقة.. ولم أكن أشعر بتعب مطلقًا.

أميرة: لا.. لا.. سوف أكمل المشوار.. المهم أن أجد السرير النظيف الذي وعدتني به في النهاية.

الملك: سرير نظيف.. وعشاء ساخن أيضًا.. هيا.

* * *

انتهت زيارة المغامرين للأستاذ «شاكر» الذي ودعهم بحرارة على وعد من المغامرين بتكرار الزيارة في أقرب وقت.. أمام منزله صعدوا إلى دراجاتهم وقد ملأهم الأمل بعد أن شاهدوا «أميرة» في البرنامج التليفزيوني.

نوسة: إنها فرصة مدهشة أن يذاع البرنامج في هذا التوقيت.

عاطف: لقد سعدت حين رأيتها حية.. بالإضافة إلى أن هذه أول مرة نرى شكلها.. حتى «تختخ» لم يرها إلا لحظات.

محب: فعلًا.. الأهم أننا رأيناها جميعًا بعد أن كان «تختخ» هوالوحيد الذي رآها.

عاطف: نعم.. رغم وصف «تختخ» الدقيق لها.. إلا أن رؤيتها على الطبيعة جسد شكلها الحقيقي أمامنا.

نوسة: ولكن لا ننكر أن رسم صديقتنا «فريدة» لها كان شديد الشبه من شكلها الحقيقي.. رغم أنها رسمتها من وصف «تختخ» لها.

تختخ: هذا صحيح.. فالحقيقة أن «فريدة» تتمتع بحس فني رائع.

نوسة: نحن قريبون من منزل «فريدة» ما رأيكم أن نمر عليها ونشكرها على المعلومات التي أمدتنا بها هذا الصباح؟!

عاطف: إنها فكرة طيبة.

محب: هيا بنا..

تختخ: المغامرة الصغيرة «لوزة».. لماذا هذا السكوت؟! هل نمت وأنت تقودين الدراجة..؟!

ضحك المغامرون وقالت نوسة: حقًا يا «لوزة» فأنت صامتة منذ فترة.. لماذا؟!

لوزة: لا شيء.. ولكن شعرت بالحزن للسيد «شاكر» فلقد شاهدنا جميعًا «أميرة» بالتليفزيون إلا هو.. فإن عجز بصره حال دون مشاهدتها معنا.

* * *

كان الظلام قد خيم على طرقات جبل «المقطم» وشعرت «أميرة» إلى جانب تعبها الشديد بخوف يملأ جسدها النحيل وهي تصعد مع «الملك» مرتفعات «المقطم» الصخرية!

أميرة: هل أنت متأكد أننا نسير في الطريق الصحيح؟

الملك: طبعًا.. لا تخافي.. فلقد اقتربنا كثيرًا.

أميرة: ولكن لا أرى شيئًا.. وأكاد أسقط من التعب.

الملك: لقد وصلنا تقريبًا.. ناوليني يدك.

انحرف الملك عن الطريق الممهد وقفز هابطًا بعض الدرجات غير الممهدة ثم مد يده يمسك «أميرة» التي كادت أن تسقط..

أميرة: هل في مثل هذا المكان يمكن أن يوجد سرير نظيف كما وعدتني..؟ أشك كثيرًا!

وضع الملك يده على فمها وقال بصوت منخفض: الآن.. اهدئي.. لا تصدري أي صوت!

أميرة: لماذا..؟ لماذا أخفض صوتي؟!

الملك: أرجو أن نعبر تلك المنطقة بأمان.. وإلا!!

أميرة: وإلا ماذا..؟ لا أفهم..!! أكاد أموت رعبًا.. لقد تسمرت قدماي.

الملك: حتى الآن.. نحن بخير.. ولكني أخشى..

... وقبل أن يكمل جملته.. سمعا صوت عواء عميق وموحش يقطع صمت المكان المظلم..

أميرة: كلب.. كلب.. أنا أخاف الكلاب المتوحشة! دعنا نعود إلى «المعادي» أفضل!

كتم فمها بيده وقال: دعك من «المعادي» الآن.. ادعي الله أن نبقى سالمين..

ارتفع صوت العواء ولكن ليس صوتًا واحدًا بل مجموعة أصوات متتالية..

الملك: هذا ما كنت أخشاه.. تماسكي يا «أميرة».

أميرة: لقد أصبحت مجموعة كلاب.. دعنا نهرب أفضل.

الملك: لقد فات وقت الفرار.

أميرة: إذن دعنا نحاول أن نقذفهم بالحجارة.. فالكلاب تخشى الحجارة.

الملك: هذا إذا كانت كلاب..!!

أميرة: إذا كانت كلاب.. ماذا تقصد؟! وهل هي شيء آخر غير الكلاب.. أتقصد.. أتقصد.. أنها ذئاب.

الملك: ليتها ذئاب..!!

ازداد صوت العواء علوًّا واقترابًا حتى كاد يحيط بهم من كل مكان..

أميرة: أتقصد أنها ليست ذئاب.. إذن هي أسود..

الملك: ليتها أسود.. إنها.. إنها..!!

وفجأة بدأت أعين الحيوانات تزداد اقترابًا منهما حتى أحاطت بهما.. أسنانها الحادة تلمع في الظلام الحالك.. هنا أمسك «الملك» بيد «أميرة» التي كادت تسقط على الأرض من الفزع والرعب.

(١٨)
طرف الخيط

حاول «الملك» أن يتماسك.. فانحنى على الأرض يمد يده في الظلام للبحث عن أي شيء يدافع به عن نفسه وعن «أميرة» التي كادت أن تفقد وعيها من شدة الفزع.. ولكن لسوء الحظ أنه لم يجد شيئًا يصلح لهذه المهمة الصعبة..!!

قالت أميرة في صوت يشبه الصراخ: ما هذه الحيوانات المتوحشة..؟! ماذا سنفعل؟!

الملك: إنني أمرُّ هنا كل يوم.. ولكني لم أر مثل هذا العدد منها من قبل.

أميرة: إنها ليست كلابًا.. شكلها غريب.

الملك: إنها.. إنها «السلعوة».. أسمعتِ عنها من قبل..؟!

أميرة: لا..

بدأت الحيوانات تقترب أكثر وأكثر من «أميرة» و«الملك» اللذين تسمرا مكانهما، لا يملكان أن يفعلا شيئًا أمام هذه الحيوانات الضارية.. التي أصبحت على بعد أقدام قليلة منهما..

أميرة: إذن دعنا نهرب.. فلنحاول الجري!

الملك: لا فائدة.. فهي سريعة جدًا.. وسوف تلحق بنا في ثوانٍ..

أميرة: إذن لقد انتهينا..!!

بدأت الحيوانات في قفزات سريعة تقترب منهما.. وبدأ «الملك» في الدفاع عن صديقته بمحاولة ركل الحيوانات بقدمه الصغيرة في شجاعة واضحة.. ولكن كثرة الحيوانات الضالة وشعورها بالجوع كانت أقوى بكثير من شجاعة «الملك» الذي كاد أن يسقط على الأرض أثناء معركته معها.. ولكن قبل أن يستسلما.. ارتفعت أصوات طلقات نارية متتالية تصفر في الهواء.. مما جعل الحيوانات الضارية توقف حركتها تمامًا.. وفجأة تسلط ضوء قوي على أرض المعركة بهر أعينهما اللامعة.. فجرى أحدها وتتبعه الآخرون.. واختفت الحيوانات في الظلام..

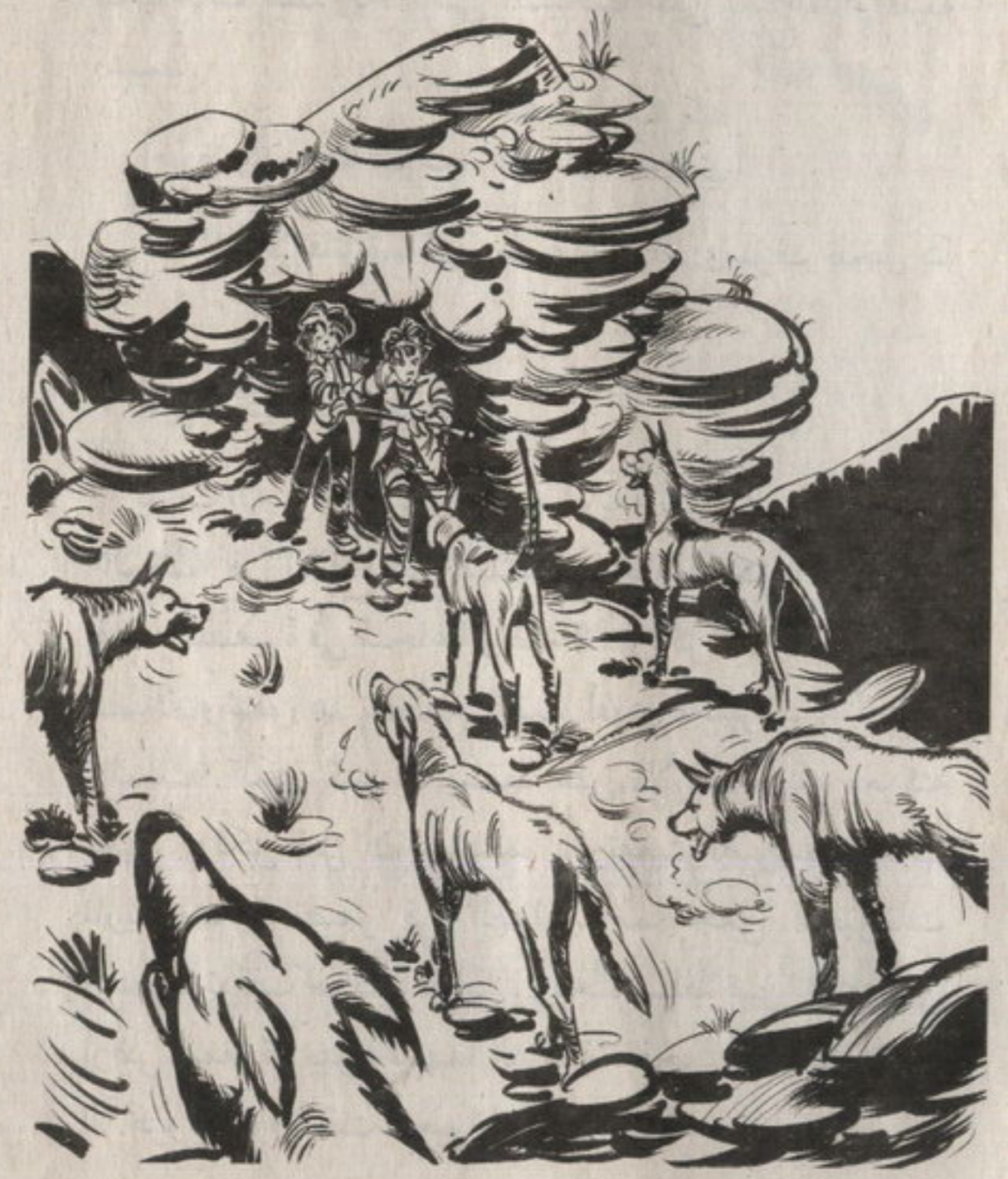

هنا سقط «الملك» و«أميرة» على الأرض من شدة الخوف والتعب، واقترب الضوء الذي كان يحمله أحد الخفراء الذين يحرسون المنطقة وقال الخفير: من..؟ من في الظلام؟!

هنا استجمع «الملك» صوته الذي كان قد تلاشى من الخوف وقال: أنا.. أنا ياعم «خلف»!

الخفير: أنت.. أنت يا «صالح» ماذا تفعل في هذه الساعة المتأخرة..؟ ومن تلك الفتاة التي معك؟

الملك: تأخرت في العمل.. فصاحب المخبز الذي أعمل به طلب مني أن أعمل ساعة إضافية..مما جعلني أتأخر.. وهذه قريبتي وزميلتي في العمل.. سوف تقضي الليل معي وأبي وأمي.. ونعود صباحًا للعمل معًا.

أميـــرة: الحمد لله على وصولك في هذه اللحظة.. فلولاك لأكلتنا هذه الحيوانات المتوحشة.

الخفير: أي حيوانات متوحشة.. إنها بعض الكلاب الضالة التي تظهر بعد حلول الظلام.

الملك: شكرًا يا عم «خلف». هل تسمح لنا باستكمال طريقنا؟

الخفير: طبعًا.. ولكن كن على حذر..

أميـــرة: لا.. لا أريد أن أسير في هذا الظلام مرة أخرى.. فلقد نجونا بأعجوبة.. وأخشى أن تظهر هذه الحيوانات مرة أخرى!

الخفير: لا تخافي يا ابنتي.. إنها تخشى الضوء.. وصوت الطلقات النارية أفزعتها.. ولن تعود مرة أخرى.. وعلى كل الأحـوال.. سوف أحرسكما حتى تصلا إلى الطريق مرة أخرى!

الملك: شكرًا لك يا عم «خلف»!

ومد الملك يـده.. ثم أمسك يد «أميرة» واستكملا سيرهما وضوء كشاف «الخفير» يحيط بهما حتى اختفيا عن الأنظار..

* * *

في حديقة منزل «فريدة» كان المغامرون الخمسة ملتفين

حول منضدة صغيرة في الغرفة التي تقوم فيها «فريدة» بالرسم وقد امتلأت الحوائط بالرسومات. دخلت «فريدة» تحمل بعض أكواب العصير تضعها وسط المائدة ثم انضمت إليهم وجلست.

فريدة: أخشى أن يصيبني الغرور لكثرة مديحكم لي..

نوسة: إنها الحقيقة يا «فريدة».. فالصورة التي قمت برسمها لـ «أميرة» شديدة الشبه بشكلها الحقيقي.

تختخ: أعتقد أن موهبتي في الوصف هي التي أوصلتنا إلى هذه النتيجة وليست موهبة «فريدة» في الرسم.

ضحك الجميع وقالت فريدة: هذا حقيقي.. فبالتأكيد الوصف والرسم في هذه الحالة وجهان لعملة واحدة للوصول إلى نتيجة مرضية.

لوزة: وهل هذه الطريقة لا تزال تستخدم حتى الآن للوصول إلى شخص ما؟

فريدة: نعم.. لا تزال مستخدمة ولكن التكنولوجيا المتطورة أسهمت كثيرًا في هذا المجال.. الآن

يمكن أن تدلي بالأوصاف إلى الكمبيوتر للحصول على صورة أدق وأسرع من العمل اليدوي!

محب: صحيح.. فقد شاهدت ذلك في بعض الأفلام الأجنبية.

فريدة: وهو مطبق الآن أيضًا في وزارة الداخلية المصرية.. فالشرطة هنا تواكب أحدث الأساليب وتستخدم أدق الوسائل لخدمة العدالة للوصول إلى الجناة.

عاطف: حسنًا.. أعتقد أن الوقت تأخر.. وعلينا العودة إلى المنازل وإلا سنجد صورنا منتشرة مع بائعة الجرائد والمجلات للبحث مع الشرطة!

محب: المهم أن تكون بالكمبيوتر وأن أكون مرتديًا ملابسي الجديدة أيضًا.

ضحك الجميع وبدأوا في الانصراف..

* * *

أمام باب حديدي ضخم محفور في باطن جبل «المقطم» بعيد عن أعين المارة وقف «الملك» ومعه «أميرة» التي قد أتعبها طول المشوار ومعركتهما مع الكلاب الضالة..

تنهد الملك بعمق ثم قال: ها قد وصلنا أخيرًا..

أميـــرة: أجبني أولًا.. من هو «صالح» هذا الذي ناداك به «الخفير»؟!

الملك: إنه اسمي الحقيقي..فقد أخبرتك أن «الملك» لقب أطلقه عليَّ المعلم..

أميرة: وما هي قصة المخبز الذي تعمل به.. ومنزل أبيك وأمك..؟

الملك: إنها قصة ألفتها حتى أستطيع السير هنا ليلًا دون أن يشك بي هذا الخفير الطيب.. وهو في أحيان كثيرة يساعدني في المرور، فكما شاهدتِ.. أن الطريق تكون خطرة في بعض الأحيان خاصة في الأوقات المتأخرة.

دق «الملك» الباب دقات ذات إيقاع مميز.. انتظر قليلًا وأعادها مرة أخرى بنفس النغمة، فآتاه صوت غليظ من الداخل: من؟ من بالباب؟

الملك: افتح يا «عربي».. أنا «الملك»!

ارتفع صوت صرير يشق الهدوء المخيم على المكان.. وانفتح الباب ومد «الملك» يده ليد «أميرة».. ليساعدها على

عبور حاجز مرتفع.. ويتقدمان إلى الداخل يرمقها «عربي» الذي فتح لهما الباب بنظرة حادة دون أن ينطق بكلمة..

الملك: هل المعلم بالداخل؟!

هز عربي رأسه بالإيجاب دون أن يرد..

الملك: تعالي.. لا تخافي.. تقدمي!!

ارتفع صوت رفيع وكأنه صوت ثعبان..

المعلم: أين كنت أيها الولد الشقي حتى هذه الساعة..؟

الملك: تأخرت حتى أحضر لك هدية يا معلم..

المعلم: هدية.. محفظة سمينة.. أم ساعة ذهبية..؟

الملك: لا هي محفظة ولا ساعة..إنها «أميرة»..!!

المعلم: «أميرة» مرة واحدة..

وتقدم «الملك» من «المعلم» وهمس في أذنه ببعض الكلمات.. بينما تفحصها المعلم بنظرات ثاقبة ثم قال: تعالي.. اقتربي يا شاطرة.. لا تخافي.

كان المعلم رجلًا قصير القامة.. نحيفًا له شارب قصير.. شعره أسود داكن.. تلمع عيناه الضيقتان في ذكاء وخبث شديديْن.. يرتدي ملابس أنيقة وحذاءً يلمع..

تقدمت منه «أميرة» في خطوات مترددة..

المعلم: عرفت أن اسمك «أميرة».. صحيح..؟

هزت رأسها ولم تجب..

فأكمل: عظيم.. وماذا كنتِ تعملين يا «أميرة»؟!.. هل كنت متسولة أم نشالة.. أم..؟

أميرة: لا.. أنا لست متسولة!

ضحك المعلم وقال: حسنًا لا تغضبي.. إذن أنت لا تجيدين فعل شيء.

أميرة: لا..

المعلم: هل لكِ أقارب؟

قاطعه الملك: لقد أخبرتك يا معلم.

المعلم: اخرس إنت.. هل طلبت منك الكلام؟!

ارتعدت «أميرة» وفقدت القدرة على الكلام..

المعلم: حسنًا.. سوف تقومين ببيع المناديل الورقية على المارة وفي إشارات المرور.. وبعدها سوف تتعلمين كل شيء.. خذها الآن لتأكل فيبدو عليها

الجوع والتعب.. وفي الصباح سوف تبدئين العمل.

تقدم «الملك» أمامها.. بينما ابتعدت هي في خطوات بطيئة مستسلمة..

* * *

في الصباح في غرفة الاجتماعات بحديقة ڤيلّا «تختخ» كان المغامرون الخمسة متجمعين وهم على استعداد للخروج..

محب: وهل أنت متأكدة أن الأستاذة «وفاء» المخرجة سوف تترك تصاريح لنا جميعًا لزيارتها في مبنى التليفزيون؟.

نوسة: بالتأكيد.. فقد طلبت مني بالأمس أثناء محادثتي التليفونية معها أن أذكر لها أسماءنا الثلاثية نحن الخمسة.. لتصدر لنا التصاريح..

لـوزة: لكم تمنيت أن أزور مبنى التليفزيون، وأن أصعد هذا المبنى العملاق.

عاطف: هذه بالطبع ليست زيارتي الأولى.. فأنا دائم التردد على مبنى التليفزيون بسبب أعمالى

التليفزيونية الكثيرة..

تختخ: نعم.. بالتأكيد فقد شاهدنا بالأمس آخر أعمالك ببرنامج «طبق اليوم»..!!

انفجر الجميع ضاحكين..

نوسة: حسنًا.. هيا نتحرك حتى لا نتأخر.

أطلق «زنجر» نباحه غاضبًا لترك المغامرين له وحيدًا بالمنزل.. فرَبَت «تختخ» على رأسه في حنان..

تختخ: للأسف يا «زنجر» نحن آسفون لتركك وحيدًا بالمنزل فلا يمكن أن تصحبنا في زيارة كهذه.

محب: فعلًا.. وإلا لكانت الأستاذة «وفاء» قد طلبت اسمك الثلاثي أنت أيضًا لاستخراج تصريح لك بالزيارة.

ضحك الجميع مغادرين.. بينما استمر «زنجر» في النباح..

* * *

في غرفة رقم ١٦ بالطابق الثاني بمبنى التليفزيون كانت المخرجة «وفاء بغدادي» تجلس في انتظار المغامرين

الخمسة حسب الموعد المتفق عليه.. تجلس خلف إحدى ماكينات العرض الضخمة تدير بعض الأشرطة الخاصة بعملها.

وفـــاء: مرحبًا بالأصدقاء الصغار.. سوف أناديكم بالمغامرين الخمسة كما يطلق عليكم الأستاذ «شاكر» الذي كان شديد المديح لذكائكم ونشاطكم..

عَرِّف كل من المغامرين الخمسة نفسه، وهنا دق الباب وانضم إليهم أحد زملاء المخرجة «وفـاء» التي قدمته للمغامرين..

وفـــاء: إنه زميلي المصور «أحمد» الذي كان بصحبتي في أثناء محاولة خطف «أميرة»!

عاطف: تقصدين معركة «زجاجة البرفان»!

ضحك الجميع وقال تختخ: أستاذة «وفاء» لقد حضرتم محاولة خطف «أميرة».. ولقد أخبرنا الأستاذ «شاكر» أنها أثناء التعرف عليها كانت تتمنى زيارة «الإسكندرية»!

وفـــاء: صحيح.. بل كانت تظن أننا نتوجه إلى «الإسكندرية» وقتها.. وكانت على استعداد للسفر فورًا.

محب: هذا يؤكد أن ليس لها أقارب هنا تستأذنهم السفر أوعلى الأقل تخبرهم بفكرة سفرها هذه..

وفـــاء: هذا كلام منطقي.. ولكن الغريب أنها فجأة قفزت من السيارة أثناء تحركنا بمجرد أن رأت الأستاذ «شاكر» وذلك لمساعدته أثناء عبور الشارع.

لـــوزة: هذا يؤكد كم هي فتاة طيبة وبداخلها شعور برد جميل الرجل الذي أسكنها منزله وعاملها كابنته.. وذلك رغم كل الظروف التي تحيط بها..

نوسة: هل لا تزالون تحتفظون بالشريط الخاص بالحلقة التي صورت بها «أميرة»!

وفـــاء: بالطبع.. بل ما هو أهم من ذلك.. فلدينا النسخة الأصلية قبل أن يحذف منها شيء.. أوكما نسميها قبل «المونتاج» فلربما تشاهدون شيئًا يمكن أن يساعدكم في بحثكم هذا.

دخل أحد العمال يحمل بعض المرطبات.. ووضعها أمامهم..فشكره الجميع وانصرف..

وفـــاء: سوف أعرض لكم الجزء الذي تم تصويره بمنطقة «المعادي» وأظنها هي المنطقة التي تهمكم..

تختخ: فعلًا..

وعلى الشاشة رأى المغامرون الكاميرا تصور مبنى «المول» وتدور حوله وأمامه في الجهه المقابلة حديقة عامة تستخدم كموقف للسيارات.. ثم وقفت الكاميرا أمام ولد صغير.. يرتدي ملابس رثة.. شعره مجعد.. وحذاؤه قديم..

وفـــاء: أتتذكر ذلك الولد يا «أحمد»..؟

أحمد: طبعًا.. ولد غريب الأطوار.. سريع الغضب.. كاد أن يسقط الكاميرا من يدي لما حاولنا أن نقوم بالتسجيل معه.

ابتعدت الكاميرا وتوجهت إلى «أميرة» التي كانت مستلقية تحت إحدى الأشجار على بعد خطوات قليلة من الولد تغط في نوم عميق ولا تدري أن الكاميرا تقوم بتصويرها.

تختخ: أستاذة «وفاء» هل يمكن إرجاع الشريط مرة أخرى..

وفـــاء: بالطبع..

مدت «وفاء» يدها إلى أحد الأزرار وظهرت الصورة تدور بصورة معكوسة..

تختخ: هنا لو سمحت!

أعادت «وفاء» الصورة إلى حركتها الطبيعية.. واقترب «تختخ» من الشاشة يدقق بها النظر.. ثم بحس المغامر الذكي وبصوت يملؤه الثقة قال وهو يشير إلى الشاشة: إن هذا الولد المتشرد هو طريقنا للوصول إلى «أميرة» بل هو لغزنا بأكمله.

ساد المكانَ صمتٌ عميق.. وتبادل الجميع النظرات..

(١٩)
المتشردون الثلاثة

حينما طلع النهار في كهف المعلم «كوچاك» كانت «أميرة» قد قضت ليلتها كاملة دون أن تنام.. ظلت منكمشة فوق المرتبة القطنية القذرة وقد رفعت الغطاء عن جسمها ووجها ولم تظهر منها سوى عينيها ترقب هذا المكان الموحش وقد غمرها الندم لقبولها فكرة ترك «المعادي» ومصاحبة «الملك» في القدوم إلي هذا المكان المظلم والمخيف.

كانت هناك فتاة إلى جوارها في مثل سنها تقريبًا وعندما بدأ ضوء الشمس يتخلل الشبابيك المرتفعة التي يكسوها سلك حديدي رفيع وبعض القضبان الغليظة.. وبدأت تفاصيل المكان تظهر.. رأت «أميرة» المراتب ملقاة على الأراضي الترابية ينام عليها بعض الأولاد والفتيات أعمارهم تقارب عمرها.. وقد كان الجميع يُغطون في نوم عميق.. وقد بدا عليهم التعب والإرهاق والبؤس.

هنا بدأت الفتاة النائمة بجوار «أميرة» في الاستيقاظ.. فتحت عينيها وابتسمت فورًا عندما رأت «أميرة».

الفتاة: صباح الخير..

أميرة: صباح الخير..

الفتاة: ما اسمك..؟ أنا اسمي «فلة».. وأنتِ؟!

أميرة: اسمي «أميرة»!

الفتاة: من أتى بك إلى هنا..؟ عم «عربي»؟!

أميرة: لا.. لقد أتيت مع «الملك» .. هل تعرفينه..؟

الفتاة: طبعًا.. إنه أحد صبيان «المعلم» المقربين إليه.. وهو ولد طيب وجدع.

أميرة: أين هو الآن..؟ فأنا أريد أن أعود إلى منزلي..!!

الفتاة: منزلك.. هل لديك منزل..؟

أميرة: أقصد أريد العودة من حيث أتيت..!

الفتاة: ومن أين أتى بك «الملك» ..؟

أميرة: من «المعادي» ..

الفتاة: لا أعرفها.. فأنا أعمل في «مصر القديمة»..

أميرة: وماذا تعملين هناك؟!

الفتاة: في النهار أبيع المناديل الورقية.. وليلًا أبيع «الفل».

أميرة: لهذا اسمك «فلة»..؟

الفتاة: صحيح..

أميرة: وما اسمك الحقيقي؟!

الفتاة: «زينة».. اسمي «زينة» والمعلم هو مَنْ يطلق علينا هذه الألقاب.. وسوف يطلق عليك لقبًا أنت الأخرى.. ربما «ميرا» أو «ميرو».

أميرة: ومنذ متى وأنت تعملين هنا..؟

الفتاة: حوالى العام..

قبل أن يكملا حديثهما.. ظهر الملك حاملًا لفافة صغيرة وتقدم من الفتاتين.. ثم ألقى عليهما تحية الصباح..

الملك: صباح الخير..

الفتاتان: صباح الخير..

الملك: أرى أنكما تعارفتما.. حسنًا.. لقد أحضرت لكما إفطارًا فاخرًا: جبن رومي.. وبعض شرائح اللانشون اللذيذ.. وهو إفطار مخصص لمساعدي المعلم فقط..

الملك: هيا يا «أميرة»..

أميرة: ليس لي رغبة في الطعام.. ولي طلب واحد!

قال الملك: ما هو؟!

أميرة: أريد أن أعود إلى « المعادي» فلم أنم طول الليل.. فهذا المكان يخيفني!

فلة: وهل يسمح المعلم «كوچاك» بذلك؟! بالطبع لن يدعك ترحلين..

أميرة: ولماذا لا.. فلقد أتيت هنا لآكل وأنام كما وعدني «الملك» .. وأنا لا أريد أن آكل ولا أن أنام أيضًا!

وظهر «عربي» يحمل عصا غليظة بدأ يدق بها الأرض والحائط بشدة ويصدر بها صوتًا مزعجًا..

عربي: هيا أيها الكسالى اصحوا جميعًا.. هيا إلى الإفطار وإلى عملكم.. هذا ليس فندقًا.. يجب أن تعملوا بجد وإلا الويل لكم مني.. والمعلم لن يرحمكم.. هيا أفيقوا بسرعة.

بدأ الجميع في الاستيقاظ والنهوض دون أن يتبادلوا الحديث أو حتى تحية الصباح.. بدأ كل ولد منهم في حمل

المرتبة التي كان ينام عليها ويضعها في نظام بجوار الحائط. كان صوت «عربي» مرعبًا.. ووقع عصاه على الحائط والأرض ملأ قلب «أميرة» بالخوف وقد أصبحت لا تدري أي حظ تعس أتى بها إلى هذا المكان المخيف.

* * *

كانت زيارة المغامرين إلى الأستاذة «وفاء» وزميلها «أحمد» بمبنى التليفزيون هي طرف الخيط الذي أمسكوا به.. ومشاهدة هذا الولد المشرد بالشريط قد يساعد على حل اللغز.. أوهكذا يرى «تختخ».

كان جهاز الفيديو والتليفزيون الصغير المعلق بغرفة الاجتماعات هو ما تعلق به أعين المغامرين بينما يشرح «تختخ» ويفسر لأصدقائه أهمية ما تم التوصل إليه.

نوسة: يكفي يا «تختخ» فهذه المرة الألف التي تعيد فيها هذه اللقطة!

تختخ: تصرف هذا الولد يؤكد أن وراءه سرًّا ما.. فأي شخص عادي يتمنى أن يقوم التليفزيون بإجراء حديث معه ولكنه رفض..

لوزة: بل حاول أن يحطم الكاميرا.. كما قال الأستاذ «أحمد»!

تختخ: تمام يا «لوزة».. وهو يقف على بعد خطوات من «أميرة».. فالمؤكد أنه يعرفها أو يعرف شيئًا عنها.. لذا أؤكد أنه الخيط الذي يجب أن نمسك به!..

نوسة: حسنًا.. هل تقترح أن نذهب في جولة إلى هناك لمراقبته.. فقد نجده؟

محب: أو لربما تظهر «أميرة».. وتحل اللغز!

تختخ: مثل هذا الولد المتشرد يتنقل كثيرا.. وهو عادة فرد في عصابة وهؤلاء لا يبيحون بأسرارهم..

عاطف: إنكم تحاكمون اللص قبل القبض عليه.. المهم أولًا أن نعثر عليه!

تختخ: عندي فكرة للوصول إلى هذا المتشرد..

لوزة: التخفي.. صح؟!

تختخ: صح أيتها المغامرة الذكية.. فمنذ مدة طويلة لم نلجأ إلى المكياج.. والآن حان وقته.

في تلك اللحظة دق التليفون بجوار «تختخ» فسكت الجميع..

تختخ: آلو.. نعم.

جاء صوت من الطرف الآخر يعرفه «تختخ» جيدًا.. صوت عميق يفيض ثقة وحنانًا..

تختخ: طبعًا عرفت سيادتك.. ولكني غير مصدق.. صباح الخير أيها المفتش.

وضع يده على السماعة وصرخ في فرح للمغامرين: المفتش «سامي»!

ثم أكمل كلامه مع المفتش: هل عدت سيادتك إلى «القاهرة»؟

تقدم الجميع من «تختخ» فرحين يضعون آذانهم إلى جوار أذن «تختخ»..

تختخ: إذن تحدثنا من «الولايات المتحدة».. لا نصدق اهتمام سيادتك بنا رغم مشاكلك.. نعم نحن جميعًا بخير.. نعم الجميع بجواري.. نشكرك سيادة المفتش.. مع السلامة.. مع السلامة.. شكرًا.. شكرًا لك يا سيدي.

تختخ: هذا المفتش العظيم.. رغم مشاغله الكثيرة.. لم ينس!

عاطف: لم ينس ماذا..؟

سكت «تختخ»..

نوسة: لم ينس أن يطمئن علينا بالطبع.

تختخ: وغير ذلك..؟!

قال تختخ معاتبًا أصدقاءه: لم ينس أن اليوم هو عيد ميلادي..

سكت الجميع وتبادلوا نظرات الخجل.. ولكن هنا مدت «لوزة» يدها خلف ظهرها لتخرج علبة خشبية تقدمها لـ «تختخ»..

لوزة: لا.. لم نَنْسَ أيها الأخ الأكبر.. هذه هديتنا لك.. كل عام وأنت بخير..

فتح «تختخ» العلبة فوجد قطع شطرنج جميلة.. فأبدي إعجابه الشديد بها وتبادل الجميع التهاني..

محب: لقد ظننت بنا أننا نسينا عيد ميلادك.. وعليك أن تكفر عن ذنبك.. ولن يقل رد اعتبارنا بأقل من تناول بعض ساندوتشات الفول والطعمية الساخنة «بالمول».. كذلك بعض العصائر.

تختخ: موافق.. بعدها سوف نبدأ العمل فورًا..

نوسة: نعم.. فقد أضعنا وقتًا طويلًا دون أن نصل لشيء!

* * *

لم يكن أكثر المقربين من «تختخ» و«عاطف» يمكنهم التعرف على هذين المشردين اللذين يجوبان شوارع «المعادي» في اتجاه «المول»، فقد ارتديا ملابس رثة وقاما بنكش شعرهما ولبسا حذائين ممزقين.. مما يوهم أنهما قد قضيا كل حياتهما حافيين.. ولم يعرفا يومًا غير الشارع والرصيف ملجأ لهما.

اقتربا من الشارع المؤدي إلى «المول» يتفحصان المارة الذين كانوا يتجنبون الاحتكاك بمثل هذين المشردين.

همس عاطف: «موس» لقد وقعت عيني على هدفنا..

تختخ: أين يا «شنكل»؟

عاطف: انظر يمينك.

ألقي «تختخ» بنظرة ناحية اليمين، فلحسن حظهما ومنذ اللحظة الأولى عثرا على هدفهما المنشود..

بنظرة حادة تبعهما «الولد» ولكنهما لم يعيرانه اهتمامًا.. ومشيا وكأنه لا يلفت نظرهما..

تختخ: حسنًا يا «شنكل» فَلْنَبْدَأْ بتنفيذ خطتنا!

عاطف: حسنًا نفترق.. إلى اللقاء.. ولكن كن قريبًا.

تختخ: طبعًا.

سار المغامران كل في اتجاه.. اتجه «تختخ» إلى درجات «المول» العريضة الخلفية واختفي بداخلها.. بينما عاد «عاطف» مرة أخرى ناحية الولد المشرد الذي كان جالسًا على طرف الرصيف يمسك بيده قطعة «السميط» يأكلها في غير شهية بينما عيناه ترقبان «عاطف» الذي بدأ في الاقتراب منه.

وفجأة خطف «عاطف» قطعة «سميط» من يد الولد وحملها وجري، وهنا هب الولد مسرعًا خلف «عاطف» واستطاع أن يلحق به ويمد قدمه أمامه..فسقط على الأرض بشدة لم يكن يتوقعها.

مد الولد يده ممسكًا بملابس «عاطف» وسحب منه قطعة «السميط» في غضب وصاح: من أنت يا ولد؟ وماذا أتى بك إلى هنا؟!

عاطف: هذا ليس من شأنك!!

الولد: من شأني طبعًا.. فهذه منطقتي!

مسك الولد «عاطف» من ملابسه وأوقفه أمامه ثم رفع يده ليضربه.. ولكن هنا ظهر «تختخ» بجسده الممتلئ.. وأمسك بذراع الولد وأخذ يثنيها بقوة..

تختخ: اهدأ يا هذا.. ليست هذه طريقة للتعامل بيننا.

الولد: لقد حاول صديقك سرقتي والفرار.

تختخ: إنه جائع.. فنحن لم نذق الطعام منذ أمس.

الولد: حسنًا.

عاطف: على كل حال.. أنا آسف؟!

الولد: المهم.. ماذا أتى بكما إلى هنا؟!

تختخ: كما ترى.. نبحث عن عمل.. وعن طعام!

الولد: ما اسمكما؟

تختخ: «موس»!

عاطف: «شنكل»!

تختخ: وأنت.. ما اسمك؟!

الولد: «الملك» .. اسمي «الملك»!

(٢٠)
بائعة المناديل

بعد هذه المشاجرة السريعة أحس «الملك» بقوة «تختخ» أو «موس» كما أطلق على نفسه.. وقرر أن يتخذه صديقًا بدلًا من عدو.. تبادل الثلاثة التحية ومشيا معًا بعد هذا التعارف.

الملك: من أين أنتما..؟

تختخ: من «الإسكندرية»!

اندهش الملك: ياه.. «الإسكندرية»..!! ومن يترك «الإسكندرية» ويأتي إلى «القاهرة»؟ لوأني مكانكما لما تركت «الإسكندرية» أبدًا!

تختخ: الظروف هي التي دفعتنا للحضور إلى «القاهرة»!

الملك: أية ظروف هذه؟ فنحن في موسم الصيف.. و«الإسكندرية» مزدحمة بالمصطافين.. والرزق في هذه الأيام يكون وفيرًا!

عاطف: هذا حقيقي.. ولكن لقد تشاجرنا مع المعلم الذي نعمل عنده.

تختخ: نعم.. لقد تشاجر مع صديقي «شنكل» وطرده ولأن «شنكل» صديقي المقرب فقد قررت أن أرحل معه.

الملك: ولماذا لا تنتقلان للعمل في منطقة غير منطقته؟!

عاطف: إن المعلم «زلط» الذي نعمل لديه واسع النفوذ.. ومنعنا من العمل في أي منطقة أخرى.. أومع معلم آخر.

تختخ: وأنت ما اسم المعلم الذي تعمل لديه هنا؟!

الملك: المعلم «كوچاك» .. ولكنه رجل جدع وكريم ويحب كل صبيانه.. خاصة محسوبكم.. أنا «الملك».

تختخ: حسنًا يا «ملك» اسمح لنا بالانصراف.. ولا تقلق فسوف نترك لك المنطقة.. فنحن نعرف أصول المهنة جيدًا.. وسوف نبحث عن عمل في منطقة أخرى!

عاطف: وبخصوص قطعة «السميط» فأنا أعتذر.. لقد غلبني الجوع.

ويقاطعه «الملك»: لا تقل شيئًا.. وإن كنتما ستبقيان أوترحلان.. فأنتما ضيفاي اليوم على الغداء.

تختخ: لا.. لا.. نحن لا نريد أن نثقل عليك.. شكرًا لك.. واسمح لنا بالذهاب.

الملك: هذا لا يصح بين أولاد البلد مثلنا.. فأنتما ضيفاي.. وأنا مصر على دعوتكما للغداء.

عاطف: «سميط» مرة أخرى؟!

الملك: لا.. لا.. ما رأيكما لوأكلنا «فتة لحمة راس»؟

تبادل «تختخ» و«عاطف» النظرات.. فقد وقعا في ورطة.. فهما لم يعتادا أكل مثل هذه الأطعمة الدسمة، ويحاول «عاطف» الخروج من الورطة فيقول:

عاطف: لا يا رجل.. فرغم حبي الشديد للحمة الراس ولكن عزومة كهذه سوف تكلفك كثيرًا!

تختخ: نعم.. هذا رأيي أنا أيضًا.. فيكفينا بعض ساندوتشات الفول والطعمية.

الملك: لا.. ليس أقل من فتة ولحمه راس.. أنا مُصِرّ.. هيا فيوجد هنا «مسمط» يقدم ألذ لحمه راس في المنطقة.. هيا هيا!

تبادل «تختخ» و«عاطف» نظرات الندم على هذا الحظ السيئ الذي أوقعهما في هذا المأزق المضحك.. بينما سحبهما «الملك» في إصرار وحماس إلى حيث هذا «المطعم» أو«المسمط»!!

* * *

على الجانب الآخر كانت «أميرة» قد حملت بعض علب المناديل الورقية تمر بها بين السيارات المتوقفة في إشارات المرور.. وقد حالفها الحظ في بيع بعضٍ منها.. رغم عدم كفاءتها ولكن حصيلة بيعها كانت تفوق بيع زميلتها «فلة».

أضاءت الإشارة الخضراء وانطلقت السيارات مسرعة وانسحبت الفتاتان إلى الرصيف.. هنا ارتمت «أميرة» وجلست على الأرض في تعب بالغ.

أميرة: لقد تعبت كثيرًا.. ألا يكفي هذا اليوم؟!

فلـة: يجب أن نعمل حتى تحضر السيارة للعودة.. وإذا حضر عم «عربي» ووجدنا على هذه الجلسة فسوف يعاقبنا!

أميرة: ولكني تعبت للغاية.. وأشعر بجوع شديد!

فــلة: حسنًا.. استريحي قليلًا.. وسوف أعبر الطريق وأحضر لك بعض «الكشري» من هذا المحل المقابل.. فمعي بعض النقود الخاصة بي.

أميرة: حقًا.. أتمنى ذلك!

فــلة: إذن ابْقَيْ هنا.. ولكن كوني حريصة على صندوق المناديل!

أميرة: لا تقلقي.. سوف أراقبه جيدًا!

في خطوات سريعة مدربة إخترقت «فلة» الطريق بين السيارات المارة.. وفي لحظات كانت قد عبرت الطريق ووصلت إلى المحل المنشود ودخلته واختفت.. كل هذا ونظر «أميرة» لم يغب عنها لحظة واحدة.

أضاء النور الأحمر.. وتوقفت السيارات مرة أخرى.. ولكن «أميرة» المتعبة لم تقوَ على القيام.. بل بقيت تنتظر عودة زميلتها.

وفجأة وقفت سيارة أمامها مباشرة في إشارة المرور.. فلم تعد ترى المحل ولا صديقتها. وقفت «أميرة» في محاولة لرؤية زميلتها.. ففوجئت أن تلك السيارة يقودها «عليجة»

اللص الأعرج الذي يبحث عنها!. ارتعبت «أميرة».. بينما فتح هو باب سيارته وهم بالنزول منها.. إلا أن «أميرة» هربت مسرعة تقطع الطريق في اتجاه زميلتها.. وقرر«عليجة» هو الآخر ملاحقتها.. وترك سيارته دون أن يغلق بابها وسط الطريق.. ويأخذ في الجري هو الآخر.. ولكن الإشارة فتحت مرة أخرى.. وبدأت السيارات في إطلاق آلات التنبيه جميعها بصوتٍ مرتفع بسبب سيارة «عليجة» التي تسد الطريق.. ولكنه لم يهتم محاولًا اللحاق بـ «أميرة». وفعلًا تمكن من اللحاق بها.. ومد يده القوية ليمسكها من جلبابها.. ولكنه في نفس اللحظة وجد من يمسكه هو من الخلف ويمنعه من الحركة.. إنه أحد ضباط الشرطة المكلفين بمراقبة حركة المرور في هذه المنطقة.

الضابط: أنت يا هذا.. ماذا تفعل؟! كيف تترك سيارتك هكذا وسط الطريق؟!

ارتبك «عليجة».. ولم يجد ما يجيب به عن أسئلة الضابط.

عاود الضابط أسئلته: ولماذا تلاحق تلك الفتاة الصغيرة المسكينة؟!

عليجة: هذه الفتاة.. نعم.. هذه الفتاة قد سرقت مني ساعة.. نعم لقد وضعتها إلى جواري.. وفجأة مدت يدها وخطفتها.

حاول «عليجة» أن يلصق أي تهمة بالفتاة المسكينة.. التي كانت في هذه اللحظة قد اختفت وسط آلاف المارة والسيارات.

الضابط: ولكني كنت أقف بجوار سيارتك أثناء وقوفك بالإشارة.. وشاهدتك لحظة نزولك منها.. وملاحقتك لتلك الفتاة.. ولم أشاهد واقعة السرقة التي تحكي عنها.

أحس «عليجة» بصعوبة موقفه فور سماعه كلمات الضابط التي تبرئ «أميرة» من تهمة السرقة.. محاولاً الدفاع عن نفسه!

عليجة: حسنًا يا سيدي.. إنني أعتذر.. اسمح لي بالعودة إلى سيارتي.

الضابط: ليس قبل أن أحرر لك مخالفة تعطيل سير المرور.. هات أوراق السيارة ورخصة القيادة.

وتسلم الضابط الأوراق ثم اتجه إلى سيارته لتحرير المخالفة يتبعه «عليجة»..

في هذه اللحظة عادت «فلة» حاملة لفافة الطعام الذي ذهبت لإحضاره.. ولكنها لم تجد «أميرة» وبالطبع لم تدر بكل ما حدث أثناء غيابها.. ووجدت صندوق البضاعة على الرصيف.

أخذت تنادي صديقتها.. ولكن دون فائدة.. هنا سمعت «فلة» صوت هامس ينادي عليها.. أخذت تتلفت حولها.. إنه صوت «أميرة» ولكنها لم تكن تعلم من أين تناديها. وقع نظر «فلة»على صندوق القمامة الذي إلى جوارها.. فلاحظت أن غطاءه يفتح ويرتفع إلى أعلى.. ثم يعود ويغلق مرة أخرى.. اقتربت منه.. فدهشت أن تجد أعين «أميرة» تلمع بداخله!

فــلة: ما هذا.. ماذا تفعلين داخل صندوق القمامة..؟

أميرة: ساعديني في الخروج من هنا!

لما خرجت من الصندوق.. بدأت «أميرة» في التلفت حولها في خوف شديد..

فــلة: ماذا حدث؟.. وما هذا الخوف المسيطر عليك؟!

أميرة: لا شيء.. لا شيء!

وقبل أن تكمل «فلة» إلحاحها ظهرت سيارة «عربي» متجهة إليهما وتوقفت إلى جوارهما فوضعت الفتاتان

صندوق البضاعة داخل السيارة التي تحركت مغادرة المكان.

* * *

كانت ورطة «تختخ» و«عاطف» لا تقل صعوبة عن المشكلة التي تعرضت لها «أميرة»، فلقد خرج الثلاثة من المحل الذي قصدوه لإرضاء «الملك» بأن يتركا له انطباعًا أنهما أولاد بلد ويمكنهما تناول أي نوع من الأطعمة يعرض عليهما.. فلولا وجود مجموعة من الكلاب خلف المائدة التي يجلسون عليها لكانا الآن قد أصيبا بمشاكل في المعدة وربما نقلا إلى أحد المستشفيات.

الملك: أعتقد أنكما لم تتذوقا طعامًا دسمًا ولذيذًا مثل ذلك من قبل..؟!

تختخ: طبعًا.. إنه رائع.. شكرًا لك.

عاطف: فعلًا.. لقد أكلت وكأنني صائم من شهر مضى.

الملك: حسنًا.. لنذهب الآن إلى أحد المقاهي لنشرب الشاي ونكمل حديثنا.

تختخ: لا.. لا.. هذا يكفي يا صديقي.. فنحن نفكر في العودة إلى «الإسكندرية» مرة أخرى ونحاول إرضاء المعلم «زلط» ليسامحنا.. ويسمح لنا بالعمل لديه مرة أخرى.

عاطف: أعتقد بأنها فكرة صائبة رغم أنه رجل عنيف وقاسٍ.. ولكن من الواضح أن العمل هنا في «مصرَّ» سيكون صعبًا للغاية.

الملك: أخالفكما الرأي.. فإن كنتما تنويان البقاء هنا.. فموضوع العمل سيكون بسيطًا.. والمعلم «كوچاك» دائمًا يرحب بالضيوف.. ومستعد لمساعدتهم وإتاحة فرصة عمل لهم أيضًا!

عاطف: وهل تظنه يقبل بعض أغراب مثلنا..؟

تختخ: صحيح.. فهولا يعرفنا ولا يعرف أي شيء عنا!

الملك: لا تقلقا.. فالمعلم يثق بي وفي اختياري.. أنا أرى أنكما ولدان شجاعان وقويان أيضًا.. وتستطيعان أن تقوما بأي مهمة توكل إليكما.

تختخ: بالطبع.. نحن على استعداد لفعل أي شيء يأمر به المعلم.

الملك: حسن جدًا.. هذا هوالمهم.. بالأمس بالتحديد أحضرت له فتاة صغيرة كانت تنام تحت الأشجار بالمنطقة.. رحب بها المعلم.. واليوم ذهبت إلى العمل مثل باقي الفتيات بعد أن قضت ليلتها بالسكن.

لمعت عينا «تختخ» «وعاطف» وتبادلا النظرات الخاطفة دون أن يلحظ «الملك» ذلك.. ولكن لم يكونا متأكديْن هل هي ضالتهما المفقودة أم لا.

تختخ: وهل ألحقها المعلم ببساطة هكذا بالعمل دون أن يدري عنها أي شيء!

الملك: وهل تريدها أن تملأ استمارة للعمل ليقبلها؟ يكفيه فقط أن يعرف اسمها.. وهويحب أن يطلق الألقاب على كل من يعمل لديه.. فمحسوبكم اسمه «صالح».

تختخ: والملك؟

الملك: المعلم كوچاك هو من أسماني ذلك.

عاطف: وما هو اللقب الذي أطلقه المعلم على فتاة الأمس؟

الملك: ليس بعد.. فقد حضرت بالأمس فقط وهويطلق الألقاب حسب تقديره لنجاح الصبي وسرعة إنجازه.

تختخ: إذن اختيار الألقاب هومن تخصص الملك «كوچاك»؟!

الملك: بالطبع.. ولايجرؤ أحد أن يتدخل في ذلك.. بالرغم من أنه قد يأخذ برأيي في بعض الأحيان!

قال عاطف مداعبًا: ربما اسماها «بلية» مثلًا.

الملك: لا أعتقد.. رغم أنها حقًا تشبه «البلية» إلا أنه بعيد تمامًا عن اسمها الحقيقي.

رمي «تختخ» بسؤاله الأخير الذي يقطع الشك باليقين: وما هو اسم هذه الفتاة..؟

الملك: ولماذا تسأل..؟

شعر «تختخ» أنه في مأزق.. ولكن ذكاءه أخرجه بسرعة من الورطة: ربما نساعدك في الوصول إلى لقب تخبره للمعلم فتنال رضاه أكثر ويقبل إلحاقنا بالعمل معه..

الملك: فكرة جيدة.. حسنًا.. اختاروا معي لقبًا لفتاة صغيرة نحيلة سمراء.

عاطف: إن الاسم الحقيقي للفتاة سيساعدنا للوصول إلى لقب يكون مناسبًا لها.

الملك: «أميرة».. اسمها «أميرة»..

(٢١)
رسالة بين الصخور

كان الخوف لا يزال مسيطرًا على «أميرة» رغم عودتها إلى كهف المعلم «كوچاك» وهروبها من بين أيدي «عليجة» الذي كان على وشك الأمساك بها لولا تدخل ضابط الشرطة.. وفشلت كل محاولات صديقتها «فلة» في جعلها تتحدث وتخبرها بما حدث أثناء غيابها وجعلها في هذه الحالة من الخوف والرعب.

دخل أحد العاملين لدي المعلم حاملًا صندوقًا كبيرًا.. وأخرج منه بعض الأطعمة ليضعها أمام الأولاد الجالسين على الأرض.

فلــة: وبعدها معك يا «أميرة».. هيا.. كلي..

أميرة: شكرًا.. لا أشعر بالجوع.

فلــة: كيف ذلك؟ لقد كنت جائعة منذ أكثر من ساعة مضت.. لا أدري سبب سكوتك وخوفك هكذا..

أميرة: لا شيء..

فلــة: احْكِ لي ما حدث.. سوف أساعدك صدقيني.. هَل حاول أحد رجال الشرطة القبض عليك أو مضايقتك؟

أميرة: لا لا.. لم يحدث.. أخبريني.. متى يعود الملك؟..

فلــة: سيحضر الآن.. يجمعنا المعلم كل يوم في مثل هذه الساعة لتوريد حصيلة البيع والتسول والنشل.. ثم نعود مرة أخرى للعمل بعد الغداء.. ولكن «الملك» فقط هو الوحيد الذي يسمح له المعلم في العودة بمفرده.

أميرة: إنه عمل منظم.. وكأنكم في مدرسة.

تسخر فلة: مدرسة.. وماذا تعرفين عن المدرسة؟

أميرة: لقد كنت في المدرسة.. فأنا أقرأ وأكتب.

فلــة: إنك فتاة محظوظة.. كم تمنيت أن أقرأ وأكتب مثلك.. وما الـذي أتى بك إلى هنا.. وأين أسرتك؟!

أميرة: لا أدري.. لقد ضللت الطريق بينما كنت مع أمي منذ مدة طويلة.. وبحثت عنهم طويلًا.. ولم أعثر

عليهم.. وأنا على يقين أنهم أيضًا يبحثون عني.. فأبي رجل طيب.. ولقد اشتقت كثيرًا لأمي.

دمعت عيناها، فوضعت «فلة» يدها على كتفها تربت عليها.

فلــة: حسنًا.. لا تبكِ.. ما رأيك لو أبلغنا الشرطة؟ فهي قادرة على إعادتك إلى أسرتك.

أميرة: لا لا.. لا أريد إبلاغ الشرطة.. أنا.. أنا سوف أبحث عنهم بنفسي مرة أخرى.

دخل «عربي» بملامحه الحادة وصوته الغليظ.. وكعادته كان يطرق الأرض بعصاه.

عربي: انتهوا أيها «المفاجيع» هل ستأكلون طول النهار؟ أسرعوا.. المعلم قادم الآن.

دخل المعلم وقد بدا أنيقًا كعادته.. تنبعث منه رائحة ذكية.. جلس على أحد الكراسي الضخمة العالية بحيث يرى كل الموجودين من الصبية حوله.. تقدم منه «عربي».. يفرغ صندوقًا ضخمًا أمامه.

عربي: حصيلة النهار يا معلم.

بدت عليه علامات الرضا.. وبدأ في فرز ما تجمع أمامه..

كوچاك: شيء جميل.. حسنًا حسنًا.. هكذا الهمة.. محافظ منتفخة.. ساعات.. حقائب جلدية بعد عودتي من السفر سوف تحصلون على مكافآت مجزية..

عَلَت أصوات الصبية: شكرًا يا معلم.. شكرًا يا معلم..

* * *

في هذه الأثناء كان الثلاثة «تختخ» و«عاطف» و«الملك» يتحدثون حول «أميرة» وعملها مع «كوچاك» وأملهم في محاولة إظهار براءتها..

عاطف: ربما يوافق الملك على مساعدتنا.

تختخ: سوف يكون هذا جميل في رقبتنا يا «ملك».

الملك: لا جميل ولا شيء.. نحن أصبحنا أصدقاء الآن..

عاطف: حقًا.. كما يقول المثل «لا محبة إلا بعد عداوة»!

الملك: لا عداوة ولا حاجة لا سمح الله..

عاطف: لم أكن أتصور أن نجد عملًا بهذه السرعة.. إننا محظوظان يا «موس».

تختخ: معك حق يا «شنكل»!

وفجأة ظهر «محب» و«نوسة» و«لوزة» يركبون دراجاتهم يتبعهم «زنجر» متجهين إلى حيث يجلس المشردين الثلاثة.. وعلى الجهة المقابلة من الرصيف نزلوا عن دراجاتهم.. وجلسوا على أحد أحواض الزرع التي تزين سور «المول».. وكان هذا موعدًا متفقًا عليه بين المغامرين الأذكياء.. تبادل الجميع النظرات السريعة.. واندهش المغامرون الثلاثة كيف حدث هذا الانسجام السريع بين «تختخ» و«عاطف» و«الملك» فقد بدوا في جلستهم على الرصيف بأن الصداقة تجمع الثلاثة منذ الطفولة.. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.. إنه «زنجر» الذكي الذي أحس بوجود صديقه وصاحبه.. شم رائحة «تختخ» وتأكد من أنه على بعد خطوات منه.. ولكن هل هو ذلك الولد المشرد الجالس على الرصيف المقابل؟

فجأة أسرع «زنجر» يعبر الطريق ويقفز فوق «موس» ذلك المشرد حافي القدمين.. ويبدأ في لعقه والتمسح به..

اندهش «الملك» من هذا الموقف العجيب..

الملك: عجيب أمر هذا الكلب..

تظاهر «تختخ» بأنه خائف وحاول إبعاد «زنجر» عنه.. ولكن الكلب الوفي أصر على احتضان صاحبه وتقبيله.

عاطف: حقًا يا «شنكل».. كأنه يعرفك من سنوات..

هنا عبر «محب» و«لوزة» الطريق متجهين إلى «زنجر» والمشردين الثلاثة.

لـوزة: نحن آسفون.. فهذه المرة الأولى التي يتصرف فيها كلبنا مثل هذا التصرف.

تختخ: لا.. لم يحدث شيء.. إنه كلب ظريف..

عاطف: إنه كلب متشرد.. ما اسم هذا الكلب الضال؟!

محب: إياك من مضايقته.. لقد تأسفنا وهذا يكفي..

قالها محب ثم سحب «زنجر» بصعوبة من «الطوق» الذي حول رقبته وغادر المكان.

محب: هيا.. هيا يا «زنجر».

تختخ: اسم غريب لكلب غريب..

الملك: لعله يبحث هو الآخر عن عمل.. وجاء يعرض علينا مواهبه..

ضحك الثلاثة..

الملك: حسنًا.. دعونا نتحرك الآن.. فلقد تأخرت كثيرًا على المعلم.. ولا أريد أن يغضب مني.

محب: لا لا.. لا نريد إغضابه.. فهذه فرصة ذهبية لنا للحصول على عمل.. دعونا نغادر.

وقام الثلاثة يغادرون المكان بينما كانت «نوسة» و«لوزة» و«زنجر» الذي أسكته «محب» بصعوبة لا يزالون على الجهة المقابلة.. يرقبون المشردين الثلاثة أثناء رحيلهم.

نوسة: حسنًا.. هيا نعبر الرصيف المقابل بسرعة.

عبر الجميع الطريق وجلسوا حيث كان «تختخ» و«عاطف» و«الملك» وفي مهارة وسرعة مدت «نوسة» يدها بين الصخور التي تزين أحواض الزرع.. وأخرجت أصابعها حاملة ورقه مغلقة.. ما هي إلا رسالة من «تختخ» و«عاطف».. فتحتها «نوسة» وقرأت:

«لقد توصلنا إلى مكان «أميرة».. الولد اسمه «الملك»، يعمل لدى المعلم«كوچاك».. يدير وكرًا للنشل والتسول.. ليست «أميرة» فقط هي التي تحتاج إلى المساعدة.. انتظروا رسالة أخرى قريبة في نفس المكان».

محب: كنت أخشى ألا يتمكن «عاطف» من ترك الرسالة كاتفاقنا.

نوسة: الحمد لله أنه وجد وقتًا لكتابتها دون أن يحس الولد أو«الملك».

لوزة: المهم أننا توصلنا إلى «أميرة»!

محب: حسنًا.. علينا العودة الآن إلى المنزل.. في انتظار رسالة أخرى أو مكالمة تليفونية.

هنا صعد الثلاثة إلى دراجاتهم.. ولكن فجأة تلفت المغامرون حولهم وكانت المفاجأة.. اختفاء «زنجر»!! نادوا عليه.. ولكن كأنه فص ملح وذاب.

نوسة: ربما عاد إلى منزل «تختخ»!

محب: احتمال..

لوزة: وهناك احتمال آخر.. واعتقد أنه الأقرب إلى الحدوث.

نوسة: ما هو..؟

لوزة: أن يكون تبع «تختخ»..!!

محب: تقصدين لحق بهم.. أثناء قراءتنا للرسالة؟!

لوزة: هذا ما حدث.. جميعنا يعلم كم يحب «زنجر» صديقه «تختخ»!

نوسة: حسنًا.. دعونا أولًا نذهب إلى ڤيلَّلا «تختخ».. ربما يكون قد عاد إلى هناك!

تحرك الثلاثة متجهين إلى ڤيلَّلا «تختخ».. فبعد أن توصلوا إلى مكان «أميرة» بدأ البحث من جديد ولكن هذه المرة عن «زنجر»...

* * *

أمام أحد المقاهي بمنطقة شعبية توقفت سيارة«عليجة» ونزل منها واتجه إلى إحدى المناضد التي جلس عليها صديقه الذي شاركه محاولة خطف «أميرة» في المرة السابقة، وكان يبدو عليه التعب والغضب..

الصديق: مرحبًا «حلبظ».. ماذا بك..؟ تبدو كالثور الغاضب.. ماذا حدث؟

تنفس حلبظ في غضب وقال: كانت بين يدي..

صديقه: من.. الفتاة الصغيرة.؟

عليجة: ومن غيرها؟ كانت المسافة بين يدي وبينها بعض سنتيمترات.

صديقه: وماذا حدث.. هل هربت كعادتها..؟ أم تدخل أحد المارة كما في المرة السابقة!

عليجة: ليته أحد المارة.. لقد كان رجل بوليس هذه المرة.. لقد مد يده القوية وأمسك بكتفي حتى كاد أن يخلعهما.. بل أكثر من ذلك.. لقد حرر لي مخالفة.

قال صديقه: لقد عرضت نفسك لورطة كبيرة.. هل نسيت أن هذه السيارة مسروقة واللوحات المعدنية المعلقة بها مزورة.

عليجة: بالطبع لم أَنْسَ.. ولكن ماذا تفعل لوكنت مكاني وأنت ترى الفتاة الملعونة بين يديك؟!

صديقه: أما زلت تبحث عنها بهذا الحماس..؟!

عليجة: إنها الدليل الوحيد على إدانتي.. ما دامت هي طليقة هكذا.. فإنني عرضة للاتهام والسجن.

صديقه: وإن حصلت عليها.. ماذا أنت فاعل بها؟

عليجة: لا أدري.. ولكني سأجعلها تختفي إلى الأبد.

تقدم منهما القهوجي يحمل كوبين من الشاي وضعهما أمامهما.. وانصرف..

عليجة: أكاد أجن.. كانت فرصة لن تتكرر.

لحظة صمت وتفكير:

صديقه: أين كانت تقف الفتاة حينما شاهدتها؟

عليجة: في إحدى إشارات المرور «بمصر القديمة».

صديقه: هل كانت تعبر الطريق أم تجلس على الرصيف؟

عليجة: كانت تجلس على الرصيف وبجوارها صندوق كرتوني كبير.

صديقه: وإن أحضرت لك هذه الفتاة؟

عليجة: كيف إذن.. آه لو وقعت في يدي.

صديقه: لقد سألتك ولم تجبني.. وإن أحضرت لك هذه الفتاة..

عليجة: جاد أنت فيما تقول..؟! هل لديك فكرة للوصول إليها؟!

صديقه: الموضوع الآن أصبح بسيطًا وسهلًا..

عليجة: كيف.؟!

صديقه: إن الفتاة كانت تجلس على الرصيف وبجوارها صندوق كما أخبرتني..

عليجة: وماذا في ذلك..؟

صديقه: إما أنها تتسول أوتبيع المناديل الورقية.

عليجة: صح.. معك حق.. كان بجوارها بعض منها.

صديقه: لقد وصلنا.

لمعت عيناه.. وجذب صديقه من ملابسه في حماس وقال عليجة كيف..؟

صديقه: إن منطقة «مصر القديمة» كلها.. وكل من يعمل بها من بائعي المناديل الورقية..أو المتسولين.. تحت نفوذ أحد أصدقائي المقربين.

عليجة: صحيح؟!

صديقه: نعم.. ويتمنى أن يخدمني.. إنه «كوچاك» صديقي.

عليجة: لا أعرفه.. حسنًا.. أتعرف أنت كيفية الوصول إليه؟!

صديقه: طبعًا.. أعرف.

عليجة: حسنًا.. هيا.. هيا بنا إليه!

يحدث نفسه: أخيرًا سَقَطْتِ في يدي أيتها اللعينة.. ولن تفلتي مني هذه المرة.

(٢٢)
طلقات في الظلام

نصف ساعة مضت و«تختخ» و«عاطف» يسيران بصحبة «الملك» في طريقهم لمقابلة المعلم «كوچاك» ليلتحقا بالعمل لديه أوهكذا أقنعا «الملك»، وهناك يمكنهما العثور على «أميرة» الهاربة.. والعودة بها إلى «المعادي» لإثبات براءتها بعد أن ظلت كل هذا الوقت على اعتقاد أنها مطاردة من الشرطة للقبض عليها.. ومعاقبتها على جريمة لم ترتكبها..

ورغم مرور هذا الوقت وهذه المسافة إلا أن الجميع لم يلحظوا أن «زنجر» الذكي يتبعهم عن بعد خوفًا من أن يراه «تختخ» ويطلب منه العودة.

وبينما هم يسيرون قال تختخ: ولكنك لم تخبرنا أين يكون المعلم «كوچاك»؟

الملك: في «المقطم».

تختخ: وهل اقتربنا..؟

الملك: ليس بعد.

عاطف: إذن لا يزال المشوار طويلًا..!!

الملك: وهل تعلمان أين المقطم؟

عاطف: ليس تمامًا.. ولكننا بالتأكيد نعرفه.

تختخ: إن كانت المسافة لا تزال بعيدة.. أعتقد أنه من الأفضل أن نلجأ إلى المواصلات.

الملك: أعتقد ذلك.. حسنًا.. يمكننا إذن أن نجري وراء هذا الأتوبيس القادم.. ونتعلق بمؤخرته.. فهو يمر بالقرب من وجهتنا تمامًا.

تأهب «الملك» في وضع الاستعداد والجري خلف الأتوبيس.. بينما تبادل «تختخ» و«عاطف» نظرات القلق والترقب، فهما بالتأكيد لا يستطيعان القيام بمثل هذه الحركات البهلوانية..

اقترب الأتوبيس وأصبح على بعد خطوات منهم..

الملك: هيا يا «شنكل».. أسرع يا «موس»!

في خطوات رشيقة مدربة لحق «الملك» بمؤخرة

الأتوبيس.. وقبل أن يضع قدمه في موقعها.. ظهر «زنجر» يطلق نباحه ليلفت نظرهما..

صرخ عليه «تختخ»: انتظر.. انتظر يا «ملك».

قفز «الملك» من الأتوبيس عائدًا إليهما وقال: لماذا لم تقفزا إلى الأتوبيس؟

ثم وقع نظره على «زنجر» الذي انقض مرحبًا «بتختخ» و«عاطف»...

الملك: أنت أيها الكلب العجيب مرة أخرى..!! هل كنت تتبعنا كل تلك المسافة؟

تختخ: طبعًا!

عاطف: إنه كلب ذكي، كيف استطاع أن يتبعنا تلك المسافة دون أن نلحظه؟

تختخ: حسنًا.. ليس أمامنا الآن سوى أن نكمل طريقنا على الأقدام.. فليس من المعقول أن نترك ذلك الكلب الطيب هنا ونرحل بعد أن تبعنا كل هذه المسافة.

الملك: ليس هذا ما يشغلني.. الذي أخشاه أن الوقت عند عودتنا سيكون متأخرًا.. والمنطقة المحيطة

بكهف المعلم «كوچاك» تملؤها الكلاب الضالة المتوحشة.. لقد كادت تفتك بي وبالفتاة الصغيرة التي أخبرتكما عنها ليلة أمس..

تختـخ: إن إصرار هذا الكلب على مرافقاتنا يجعل من عدم الشهامة ألا نتخلى عنه في منتصف الطريق هكذا..!!

الملك: أوافقك.. ولكني أراه كلبًا أليفًا ويبدو طيبًا.. وستفتك به وحوش الجبل هناك..

عاطف: حسنًا.. لقد كان اختياره أن يرافقنا.. وعليه أن يتحمل النتيجة حتى النهاية.

قالها «عاطف» مبتسمًا وهويتبادل نظرات الثقة مع «تختخ» فهما يعرفان جيدًا من هو «زنجر» ويثقان في قوته.. وشجاعته التي تؤهله على اجتياز أي مخاطرة وإنهاء أي معركة لصالحه.

* * *

حل الظلام وظلت «أميرة» علي جلْسَتِها في أحد الأركان بينما إنهمكت زميلتها «فلة» في صناعة بعض عقود الفل الذي أخذت يداها المدربتان في إدخال حباته البيضاء في

طرف الخيوط المتشابكة أمامها لينتهي إلى دائرة بيضاء ذكية الرائحة.. وما إن انتهت حتى اقتربت من زميلتها.. وقالت بصوت رقيق فلة: أميرة.. لقد حل الظلام وسوف نتحرك مرة أخرى لتوزيعنا للقيام ببيع الفل وأنت لم تأكلي شيئًا..

رفعت «أميرة» رأسها ببطء..

أميرة: لم يأت «الملك» حتى الآن وأنا أريده للأهمية.

فلـــة: في بعض الأحيان لا يحضر إلا ليلًا..

أميرة: إذن قد لا يحضر..؟

فلـــة: جائز!

ثم مدت يدها إلى أميرة بلفة صغيرة وقالت: حسنًا.. كلي شيئًا.. بعدها دعينا ننام قليلًا.. قبل أن نعود للعمل.

بدأت «أميرة» في تناول الطعام بغير شهية.. وهي شاردة الذهن..

* * *

توقفت سيارة «عليجة» وصديقه.. أمام الباب الحديدي لكهف المعلم «كوچاك» وأخذت أضواؤها الباهتة تخفف الظلام الكثيف المخيم على المكان.

من داخل السيارة قال الصديق: إن كنت تريد الفتاة.. فأنا الذي سأتكلم.. ولا أريدك أن تتدخل في الحديث..

عليجة: ولماذا؟.

صديقه: إن «كوچاك» رجل ذكي.. وإن أحس بلهفتك في الوصول لهذه الفتاة.. فسوف يساومك عليها.. وسيجعلك تدفع ثمنًا أغلى مائة مرة من ثمن الخاتم المسروق.

عليجة: لا يهم.. فثمن الخاتم لا يهمني الآن.. الحصول على هذه الفتاة هوالذي أسعى إليه.. ومستعد لدفع أي ثمن للحصول عليها.. والحصول على حريتي.

صديقه: حسنًا.. اتفقنا.. هيا بنا.. فأنا على يقين أنها بالداخل الآن.

ونزلا من السيارة ثم تقدما من الباب الخارجي..

دق الرجل على الباب.. ولكنها دقات عادية غير المتفق عليها من المترددين على المكان.. عاود الرجل دقاته.. ولكن لا مجيب.. من خلفهم ظهرت ثلاثة أشباح قادمة في الظلام.. تقدمت في اتجاه المكان واقتربت حتى تصل

للباب، إنهم «تختخ» و«عاطف» ومعهم «الملك» وخلفهم «زنجر».

الملك: مرحبًا معلم «دُقْدُقْ»!

الرجل: مرحبًا يا «ملك».. كيف حالك أيها الشقي؟

الملك: بأحسن حال يا معلم.

الرجل: هل المعلم «كوچاك» بالداخل..؟

الملك: نعم!!

الرجل: نريد مقابلته لأمر مهم.

الملك: مرحبًا بكما.

دق «الملك» على الباب دقاته المتفق عليها.. ثم عاودها.. حتى طل «عربي» من فتحة صغيرة..

سأل بصوته العريض: من.. من بالباب؟

الملك: أنا يا عم «عربي».

عربي: ومن معك..؟

الملك: المعلم «دُقْدُقْ».. ومعي بعض الزملاء.

انفتح الباب.. وانبعث على أثره ضوء ضعيف انعكس على وجوه الجميع.. وهنا كادت المفاجأة أن تعصف

بـ«بتختخ».. فقد أصبح وجهًا لوجه أمام «عليجة» لا يفصله عنه سوى بعض أمتار قليلة! إذن لقد توصل هوالآخر إلى «أميرة».. وما هي إلا دقائق حتى يضع يده عليها.. ومن يدري ماذا سيفعل بها؟! وماذا يمكن أن يفعله «تختخ» الذي لولا إتقان تنكره لتعرف عليه هو الآخر.. فهو الآن في وكر الأشرار.. بعيدًا عن منزله وعن أي شخص يمكن مساعدته.. أو حتى الاستعانة به.. حتى «عاطف» نفسه الذي يقف بجواره أضعف من أن يتصدى لهذا الخطر القادم.

عربي: مرحبًا معلم «دُقْدُقْ».

دُقْـدُقْ: كيف حالك يا «عربي»؟ كيف هي أحوال العمل؟!

عربي: تمام يا معلم..

دُقْدُقْ: هل المعلم «كوچاك» موجود؟

عربي: وهـل ستتحـدث هنا أمـام البـاب.. تفضـلوا مرحبًا.

دخل «دُقْـدُقْ» وخلفه «عليجة» وفور دخولهما نظر «عاطف» تجاه «تختخ».. وكأنه يسأله هل هذا هو «عليجة»..؟

هز «تختخ» رأسه في هدوء.. مجيبًا: نعم.. ودخل الجميع إلى داخل الكهف!!

كان المكان مظلمًا إلا من ضوء باهت.. يعكس خيالات الموجودين وكأنها أشباح سوداء.. بينما الأطفال بالمكان في جماعات متفرقة تملأ أرض الكهف الذي خيم عليه الصمت.

دُقْدُقْ: أين المعلم «كوچاك» إذن؟!

عربي: غير موجود الآن.

دُقْدُقْ: صديقي المعلم «جلنط» يريده في طلب خاص، هل سيتأخر؟!

عربي: أعتقد أنه لن يعود الليلة.. هو مسافر.

عليجة: حظ سيئ..!!

عربي: لماذا..!! أنا تحت الأمر.. أوامركم يا معلمين.

اقترب «دُقْدُقْ» من «عربي» ومال عليه وبدأ في حديث هامس.. كل ذلك و«تختخ» و«عاطف» يرقبان ما يحدث ولا يحركان ساكنًا.. بينما أعينهما تدور بسرعة في أرض المكان تبحث عن «أميرة» ولكن الضوء الضعيف جعل العثور عليها صعبًا وسط هذا العدد الكبير من الأطفال.

تحدث «الملك» لـ «تختخ» و«عاطف»: حسنًا يا شباب هيا تقدموا.. لسوء حظكم.. أن المعلم «كوچاك» غير موجود الليلة ولكنه سيعود باكر.

سبقهما الملك إلى الداخل بينما تحرك «تختخ» و«عاطف» خلفه في بطء وتركا المكان دون رغبتهما حيث إن الحديث الدائر بين «عربي» و«دُقْدُقْ» لايقل أهمية عن بحثهما عن «أميرة».

«تختخ» سحب «عاطف» من ذراعه.. وهمس: يجب أن نعثر على «أميرة» بسرعة.. فلقد حضر «عليجة» إلى هنا ليأخذها معه.

لاحظ «الملك» أنهما يتهامسان فقال: ماذا..! لماذا هذا التهامس؟ أظنك جائع يا «شنكل».. لا تخجل يا رجل..

عاطف: الحقيقة.. نعم.

تختخ: إن «شنكل» يأكل عشر مرات في اليوم..

الملك: لا تقلق.. فالخير هنا كثير.

غاب «الملك» لإحضار الطعام وكانت الفرصة التي ينتظرها «تختخ» و«عاطف».. فتفرقا وسط الأطفال وأعينهما تتفحص الوجوه بحثًا عن «أميرة»..

همس «تختخ»: أميرة.. أميرة!

ولكن لم يرد أحد.. مرت الدقائق سريعة.. والحوار بين «عربي» و«دُقْدُقْ» لا يزال دائرًا.. وسينتهي بين لحظة وأخـرى.. وفور انتهائه سوف يحضر «عربي» «أميرة» ويسلمها لـ «عليجة» وزميله.

في همس نادي «عاطف» على «تختخ» وبإشارة من عينه فهم أنه وصل إلى ضالتهما المفقودة..

تقدم «تختخ» ناحيته بسرعة.. وأخيرًا وجدا «أميرة» التي غالبها النعاس مستلقية على جانبها إلى جوارها زميلتها «فلة» نائمة هي الأخرى.

فجأة نادي عليهما «الملك»: الملك: أين أنتما..؟ ماذا تفعلان هناك؟.

تختخ: لقد اختفى الكلب.. لست أدري أين ذهب؟!

الملك: لقد بقي هناك عند الباب.. تعاليا لقد أعددت لكما عشاء مميزًا.

تركا «أميرة» وحدث ما كانا يخشيانه.. فقد بدأ «عليجة» في البحث عن «أميرة» وسط الأولاد.. وهو يمشي مترنحًا

وسطهم بين نائم ومستيقظ. وهنا أصبح على بعد أقدام من «أميرة» التي لا تدري أي خطر محدق يقترب منها ويكاد ينقضُّ عليها. بعد أن أصبحت تحت قدميه مباشرة، فجأة نادى «عربي»: معلم «جلنط»!

هنا التفت «جلنط» إليه..

عربي: أعتذر عن عدم قيامي بخدمتكم.. ولكنكما لا ترضيان لي أن يغضب مني المعلم «كوچاك».

عليجة: ولماذا؟ إنها مجرد فتاة مثلها مثل عشرات الموجودين هنا.

عربي: أعرف ذلك.. ولكني لا أستطيع أن أسلمكما إياها.. إلا بعد أن يسمح المعلم «كوچاك» بذلك.

استمع «تختخ» و«عاطف» إلى الحديث جيدًا، لا يدريان ما الذي سوف ينتهي إليه.. هل سيقنعان «عربي» بأخذ الفتاة معهما أم لا؟

جلنط: ماذا تقول؟! لن أتركها.. لن أخرج من هنا بدونها!!

عربي: اهدأ يا معلم.. هذا غير ممكن!! يجب أن ننتظر المعلم «كوچاك».

يتدخل دقدق لتهدئة الموقف..

دُقْدُقْ: معه حق يا «جلنط».. إنك لا تعلم ماذا سيفعله «كوچاك» إن أخذنا الفتاة بغير موافقته.

جلنط: لن يمنعني أحد.. سوف آخذها.. ولو بالقوة!

يتدخل «الملك» هوالآخر...

الملك: ماذا تظن نفسك فاعلًا.. ومن تظنه يسمح لك بذلك؟!

جلنط: اخرس أنت أيها الطفل.. لا تتدخل.. وإلا..

فجأة مد «جلنط» يديه في طيات ملابسه وأخرج مسدسًا ضخمًا وأطلق منه بعض أعيرة نارية مزقت صمت المكان..

(٢٣)
لحظات الخطر والتوتر

اخترقت الطلقات النارية التي أطلقها «جلنط» صمت المكان.. وأضاء الوهج الصادر منها ظلام المغارة.. ارتمى الجميع على الأرض.. وشعر «تختخ» و«عاطف» بخطورة الموقف.. وسيطر الخوف والرعب على الجميع.. خاصة الأطفال الصغار الذين لا حول لهم ولاقوة..

تقدم «جلنط» وهو لا يزال شاهرًا مسدسه وسط الأطفال مرة أخرى وبدأ يتفحصهم باحثًا عن «أميرة» التي استيقظت على صوت الطلقات المفزع الذي هز المكان.. كانت قد دست وجهها بين ذراعيها لا تدري أن كل ما يحدث من عراك وإطلاق رصاص بسببها.. ومن أجل الحصول عليها..

كانت لحظة حاسمة حينما وقعت عيناها على «جلنط» بجسده الضخم ومشيته المميزة فملأها الفزع والرعب.. حاولت أن تداري وجهها.. ولكن كان الأوان قد فات.

لقد رآها هو الآخر! تقدم منها كالثور الهائج.. وحملها بسهولة شديدة ورفعها بذراع واحدة بينما يده الأخرى حاملة المسدس.

حاول «عربي» التحرك والتقدم نحوه.. ولكن «جلنط» حذره قائلًا: إياك أن تتحرك.. وإلا..!

ثم أخذ ينادي: أسرع.. أسرع يا «دُقْدُقْ».. افتح الباب

أخذت «أميرة» تبكي وتستغيث ولكن هذا لم يشفع لها عند «جلنط» الذي كان على استعداد لفعل أي شيء للخروج بها.

وتقدم «دُقْدُقْ» من الباب يفتحه ويخرج بينما انسحب «جلنط» بظهره حاملًا «أميرة» التي أخذت تضرب بيديها وقدميها في الهواء ولكن دون جدوى.. فلقد استسلم الجميع أمام غضب «جلنط» ومسدسه الطائش. وأصبح خطفه لـ «أميرة» أمرًا محققًا.. وما هي إلا خطوات قليلة ويصبحان خارج المغارة.. ولكن... كان لـ «زنجر» رأي آخر..!!

فقد كان في انتظار إشارة صغيرة من «تختخ» الذي رغم توتر الموقف وضيق الوقت كان على ثقه بأن صديقه «زنجر» لن يخذله.. وكانت هزة بسيطة من رأس «تختخ» كفيلة ليتحرك الكلب الشجاع.

في قفزات رشيقة وبقوة عضلاته طارِ «زنجر» الذكي في الهواء واندفع فاتحًا فمه القوي ممسكًا بذارع «جلنط» التي تحمل المسدس فارتفع صوت صراخه.. وأسقط المسدس من يده.. فانتهزت «أميرة» الفرصة وأفلتت هي الأخرى.. وتسارعت الأحداث.. ومد «عربي» يده ممسكا بالمسدس.. وسدده إلى «جلنط» الذي أسرع بالانسحاب بذراعه الذي ينزف واختفى في الظلام.. وبعد لحظات كان يركب سيارته.. ويبتعد عن المكان..!!

هدأ المكان تمامًا.. وتعلقت جميع الأنظار بـ «زنجر» الشجاع..

في تعجب قال عربي: كلب من هذا..؟ وما الذي أتى به إلى هنا؟

الملك: إنـه كلب ضـال.. تبعنا أثناء تجوالنا في «المعادي».

عربي: ولكنه كلب شجاع.. ومدرب أيضًا.. كيف استطاع مهاجمة «جلنط» وهويحمل المسدس..؟

الملك: وكان يمكن أن يقتله.

عربي: أحضر له عشاءً فاخرًا.. فسيبقى معنا هنا.. ولن أفرط فيه أبدًا.

ومد «عربي» يده.. ويسحب «أميرة» من ذراعها..

عربي: وأنت أيتها الصغيرة.. ما هي حكايتك بالضبط.. لقد كدت أدفع حياتي بسببك.. من أنت؟.. وما هي حكايتك..؟

الملك: إنها كانت تنام هناك بجوار مركز «المعادي التجاري».. وأنا الذي أحضرتها هنا بالأمس.

عربي: ومالك تقولها بفخر هكذا.. إن وراءها مشكلة كبيرة لا شك.. لن تخرجي اليوم وحتى يأتي المعلم «كوچاك» فأنت بالتأكيد تساوي ثروة.. ولم نكن نعرف قيمتك.

ثم أكمل مشيرًا إلى «تختخ» و«عاطف».

عربي: ومن هذان المشردان أيضًا..؟ يبدوعليهما البؤس

الملك: إنهما صديقان لي.. من «الإسكندرية».. «شنكل» و«موس».

عربي: من «الإسكندرية».. وما الذي أتى بكما إلى هنا؟

تختخ: لقمة العيش يا «معلم».

عربي: وما هو اسم معلمكما الـذي تعملان لديه «بالإسكندرية»؟

رد الاثنان في نفس واحد في إجابة متفق عليها..

تختخ وعاطف: المعلم «عقب».

تفحصهما «عربي» بنظرة الخبير ثم قال: حسنًا.. ستنزلان غدًا بدلًا عن الفتاة صاحبة المشكلة.. فهي الآن الدجاجة التي تبيض ذهبًا.. فهي لن تغادر المكان حتى يأتي المعلم غدًا.. ويرى ما سيفعل بها. والليلة راحة.. لن ينزل أحد منكم للعمل.

* * *

في المساء كان «محب» راكبًا دراجته متجهًا إلى منزله وحيدًا.. وقد بدا عليه التوتر والضيق.. وقف أمام بوابة منزله الحديدية.. ونزل من الدراجة ودخل وغلق الباب خلفه.. بينما كانت «نوسة» و«لوزة» وأمامهما التليفون.. في انتظاره فور أن يدخل.

لوزة: تبدو حزينًا يا «محب».. أليس من جديد..؟

ارتمي على أحد الكراسي وقال: لا.. لم يظهر «زنجر».. ليس في منزل «تختخ» ولا منزل «عاطف».

لوزة: كما أخبرتكما بالأمس.. هوالآن بصحبه «تختخ» و«عاطف».

نوسة: أرجو ذلك.

محب: هل هناك مكالمة تليفونية مهمة؟

نوسة: لا..

قبل أن تكمل «نوسة» ردها رن جرس التليفون.. رفعت السماعة وردت «نوسة»..

نوسة: آلو.. نعم.. أنا هي.. أهلًا.. مرحبًا كيف حالك يا أستاذة «وفاء»؟ وكيف الأستاذ «أحمد»؟

راقب «محب» و«لوزة» «نوسة» أثناء المحادثة.. بدأت ملامح السعادة تظهر على وجهها..

نوسة: حقًا.. إنها أخبار عظيمة.. حسنًا.. نعم.. نحن في طريقنا للعثور عليها قريبًا إن شاء الله.. نعم بالتأكيد.. مع السلامة..

ما أن وضعت السماعة..

لوزة: يبدوأن لديك أخبارًا سارة.. أبلغتك بها الأستاذة «وفاء».

نوسة: نعم.. خبر سار للغاية.. ويهمك في المقام الأول يا «لوزة»!

لـوزة: يهمني أنا!!.. حسنًا.. ما هو؟

نوسـة: لقد توصلت الأستاذة «وفاء» وزميلها المصور «أحمد» إلى والد ووالدة «أميرة» هل تصدقان ذلك..؟!

محب: غير معقول.. أخبار عظيمة.. كيف ذلك؟

تهلل.. لوزة: بالتأكيد بعد إذاعة الحلقة المصورة التي ظهرت فيها «أميرة».

نوسة: فعلًا..حضرا إلى مبنى التليفزيون وقابلا الأستاذة «وفاء».. والجميع الآن يملؤهم الأمل في الوصول إلى «أميرة».

لـوزة: هذا دافع ليزيد حماسنا في الوصول إليها وتسليمها إلى أهلها.. سيكون يومًا رائعًا يوم أن تعود إليهم.. أليس كذلك يا «نوسة»؟!

نوسـة: بالتأكيد.. المهم الآن أن يكون لدى «تختخ» و«عاطف» أخبار مطمئنة بخصوصها.

في حسرة قال محب: بخصوص «أميرة».. الهاربة.. و«زنجر» المختفي..!!

* * *

وفي هذه الأثناء خيم الصمت على المغارة.. كل شيء هادئ في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.. الجميع نائمون.. حتى «أميرة» كانت تغط في نوم عميق بعد هذه الأحـداث الرهيبة ومحاولة خطفها وطلقات المسدس المرعبة..

كان «عربي» هو الآخر نائمًا.. وإن كان كثير الحركة رغم نومه.. في الظلام الدامس.. كانت عينا «عاطف» تلمعان وهو يدعي النوم.. وبجواره صديقه المغامر الذكي «تختخ» قد ارتمى هو الآخر على الأرض وكأنه ذاهب في نوم عميق..

أدار «عاطف» نظره في أرجـاء المكان.. اطمئن.. وبصوت هامس بدأ «عاطف» حديثه إلى «تختخ»: الجميع نائم الآن.. وعلينا التحرك.. إنها فرصتنا الوحيدة للهروب ومعنا «أميرة».. فلو حضر «كوچاك» صباحًا.. فسينتهي كل شيء.. أليس كذلك؟!

قالها «عاطف» في انتظار رد «تختخ».. ولكن كلماته ذهبت سدى..

في همس قال عاطف: «تختخ».. ما رأيك..؟

لم يجبه مرة أخرى..!!

وتكون المفاجأة أن «تختخ» هو الآخر يغط في نوم عميق.. وصوت نفسه المنتظم يؤكد أنه يحلم أيضًا.. لقد غلبه النعاس.. إنها عبقرية منه.. ينظم ذهنه.. وجهازه العصبي وينام بهذا العمق رغم سخونة الأحداث وتوترها..

كاد «عاطف» أن يضحك.. ولكنه تماسك بصعوبة.. يحاول مرة أخرى إيقاظ «تختخ».. في هزات دقيقة..

عاطف: تختخ.. استيقظ.. هيا.

يأتيه صوت «تختخ» يهمهم..

في دهاء المغامر قال تختخ: نعم.. أسمعك يا «شنكل».

أحس «عاطف» أنه أخطأ حينما نادى صديقه باسمه الحقيقي.. وها هو«تختخ» رغم نومه يرد عليه باسمه المستعار المتفق عليه..

هامسًا قال تختخ: هل تظن أنه وقت مناسب للهروب «بأميرة»؟

عاطف: ليس هناك فرصة أخرى..

تختخ: ولكن الخروج من مغارة مثل هذه لن يكون سهلًا.. بالتأكيد إن هذا الباب الحديدي مغلق بإحكام.

عاطف: حسنًا.. سأزحف حتى أصل إليه وإن وجدت أن الهروب منه ممكن.. يمكننا إيقاظ «أميرة» وتنفيذ فكرة الهرب..

تختخ: حسنًا.. ولكن كن على حذر..!!

في حذر وخفة زحف «عاطف» بجسده النحيل والقوي يتلوى بين النيام دون أن يشعر به أحد وكأنه ثعبان وفي ثوانٍ معدودة وصل إلى البوابة الحديدية.. تفحصها بنظره أولًا.. ثم مد يده يتحسسها في الظلام.. حتى وصل إلى مقبضها الضخم ومسكه وحاول إنزاله لأسفل أوالصعود به.. ولكن دون جدوى.. فهوموصد بإحكام، هذا إلى جانب القفل الثقيل الذي يتدلى منه.. نزل «عاطف» مرة أخرى إلى الأرض وعاود الزحف على بطنه وركبتيه.. ولكن قبل أن يصل إلى مكانه بجوار «تختخ».. حدثت مفاجأة لم يكن يتصورها أحد..لقد أضاءت مصابيح المكان جميعها.. وأصبح الضوء وكأنه نهار، وها هو«عربي» ممسك بالمسدس الذي حصل عليه من «جلنط» ناظر إلى «عاطف» الذي صعقته المفاجأة.. تجمد مكانه لا يدري ماذا يفعل..!!

في هدوء قال عربي: حسنًا أيها التعس.. قف على قدميك وتعالى إلى هنا.

لم يكن هناك أي مجال للمقاومة.. أو حتى النقاش.

وقف «عاطف» بهدوء وتقدم ناحيته.. وكانت المفاجأة الثانية لا تقل عن الأولى.

بنفس الهدوء قال عربي: وأنت أيها السمين.. تعال أنت الآخر.

هنا أدرك «تختخ» و«عاطف» أنهما كانا من السذاجة أن يظنا أنهما يمكنهما الاستخفاف بشخص مثل «عربي» بمثل هذه البساطة.. لقد كان يراقبهما ويرصد تحركاتهما منذ أن وصلا.. نهض «تختخ» هوالآخر.. وتقدم.. وأصبحا هوو«عاطف» أمام «عربي» على أثر هذه الأضواء والحديث استيقظ بعض الأطفال وكذلك «الملك» الذي انضم إلى «عربي»!!

بصوت مفزع قال عربي: فلينم الجميع.

ارتمى الجميع على الأرض وكأن صوت «عربي» به مادة منومة أسكتت الجميع.

عربي: أتظنان أنكما في نزهة.. كنت أعلم أنكما هنا لسبب ما.. وسأعرفه فورًا.. أيهما الساذجان.. يجب أن تعلما أن ليس هناك معلم في «الإسكندرية» كلها اسمه «عقب».

الملك: كيف ذلك لقد أكدا لي أنهما من «الإسكندرية» حتى إنهما قد حاولا سرقة طعامي والهرب.

عربي: هذا لأنك ولد عبيط.. استطاعا أن يدخلا عليك هذه التمثيلية المضحكة.. الويل لك يا «ملك» فعقابك سوف يكون أقسى منهما.. وستنال جزاء تسرعك واصطحابك لهما إلى هنا من المعلم «كوچاك» بعد عودته!

محاولًا الدفاع عن نفسه قال الملك: ولكن يا عم «عربي»..

عربي: اسكت.. لا أريد سماع المزيد.. هذان الولدان حضرا هنا للهروب بالفتاة التي حاول «جلنط» و«دُقْـدُقْ» خطفها.. وليس بمستبعد أن تكون الشرطة في أثرهما أيضًا.

كل هذا الحوار و«تختخ» و«عاطف» يقفان لا حول لهما ولا قوة.. وإن كان عقل كل منهما يفكر بسرعة خارقة للخروج من هذا المأزق.

ضحك عربي في سخرية: يحزنني أيضًا أن أبلغكما ألا تفكرا في مساعدة من صديقكما الثالث.

في دهشة قال الملك: صديقهما الثالث؟ وهل معهما شخص آخر؟

عربي: طبعًا.. ذلك الكلب الأسود الذكي.. إنه يخصهما وهما من أحضراه إلى هنا.. إنه كلب مدرب ونادر النوع.. ولذلك قمت بحبسه في الغرفة الداخلية.. وسأبقيه هناك.. ولن أفرط فيه.. وبالوقت سوف يدين لي بالولاء.. ويكون طوع أوامري.

الملك: حسنًا يا عم «عربي».. وماذا سنفعل الآن؟

عربي: سنقيدهما جيدًا.. وفي الصباح ننقلهما إلى المخبأ الكبير حتى يعود المعلم.. وينظر في أمرهما.. يمكن بقاؤهما هنا الليلة.

غاب «الملك» ثوان وعاد حاملًا حبلًا غليظًا وبدأ في تقييد «تختخ» و«عاطف» أحدهما إلى الآخر بشدة.. وراقبهما «عربي» وقد ملأت وجهه علامات السخرية والغضب.

(٢٤)
المفاجأة

في غرفة مظلمة قضى «تختخ» و«عاطف» الليل مقيدي اليدين والقدمين وقد سيطر عليهما الخوف والقلق بعد أن اكتشف «عربي» أن وجودهما بالكهف ليس للبحث عن عمل كما أخبراه.. ولكن بهدف الوصول إلى «أميرة» والخروج بها من هناك.. كانت الحبال القاسية تسبب لهما الألم والضيق وحين يتم ترحيلهما إلى المخبأ كما سمعا.. ستنقطع كل الطرق بينهما وبين باقي المغامرين.. ولن يتم التوصل إليهما، وأصبحا لا يدريان أي مصير ينتظرهما، حتى «زنجر» الشجاع قد أصبح حبيس غرفة مظلمة لا يقوى على فعل شيء سوى نباحه الذي ملأ المكان الموحش طوال الليل..

* * *

في الصباح كان المغامرون الثلاثة بدراجاتهم متوجهين

إلى مول «المعادي» حيث المكان المتفق عليه بينهم وبين «تختخ» و«عاطف» لتلقي رسائلهم لمعرفة أخبارهم وتحركاتهم.. كان يملؤهم الأمل في الوصول إلى جديد يطمئنهم على «زنجر» الذي اختفى هوالآخر.. ولا يعلمون حتى الآن أين هو..!!

ولكن آمالهم تبخرت بعد أن اكتشفوا أن ليس هناك من رسائل.. مما زاد من قلقهم وتوترهم.. وبدأت الأسئلة تتسارع فيما بينهم أين هما الآن «تختخ» و«عاطف»..!! وهل تبعهما «زنجر» أم أن اختفاءه وراءه لغز هوالآخر..!! هل هما الآن في ورطة..؟ أو أصابهما مكروه..؟ كلها أسئلة لا تجد أجوبة..!!

محب: أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل لربما لم يتمكنا من الحضور.. وسوف يقومان بالاتصال تليفونيًا!

نوسة: نعم.. ليس أمامنا سوى الانتظار.

محب: حسنًا.. هيا بنا..

بدأ التوتر والقلق يظهران بشدة على ملامح «لوزة» حتى كادت تبكي وهي تدير دراجتها تجاه طريق العودة.

لاحظ «محب» ذلك.. وحاول أن يطمئنها..

محب: عزيزتي «لوزة» إني مقدر قلقك على «عاطف».. ولكن اطمئني فأنا على يقين أنه بخير.

لـوزة: بالطبع.. إني قلقة على «عاطف» وأتمنى أن يكون بخير.. ولكن تأكد أن قلقي على «تختخ» لا يقل عن «عاطف».

نوسة: بالتأكيد إني أعرف ذلك يا «لوزة».. ونعلم مدى حبك لشقيقك ولـ «تختخ».. حسنًا لا تقلقي.. المهم أن نسرع بالعودة للمنزل.. يجب أن نكون هناك ربما قاموا بالاتصال بنا.

عاد الجميع إلى دراجاتهم وانطلقوا في اتجاه المنزل.

* * *

لم يمنع القيد الغليظ «تختخ» و«عاطف» من الحديث.. رغم الموقف السيئ الذي أصبحا عليه.. إلا أن شجاعة المغامرين لم تفارقهما في حوار هامس.

داعبه عاطف: والآن أيها الزعيم.. كيف التصرف..؟

تختخ: لا أعرف.. ولست أدري إلى أين سيرسلوننا.

عاطف: إننا حتى لا ندري ماذا حدث مع «أميرة».. أعتقد أنها ليست موجودة معنا بهذه الغرفة المظلمة.

تختخ: نعم لا أعتقد.. ولكني أظن أنهم سيبعثون بها إلى المخزن هذا الذي يتحدثون عنه!

فور أن أنهي «تختخ» جملته الأخيرة.. سمع صوت الغرفة يفتح من الخارج.. ووجدا أمامهما رجلًا أنيقًا وسيمًا يصعب تفسير وجوده في مثل هذا المكان.. يقف خلفه «عربي» في خضوع تام.. وكانت الإضاءة الضعيفة الآتية من الخارج لا تسمح بالوصول إلى ملامحه بدقة.. ولكنهما بلا شك أمام المعلم «كوچاك».

كانت جملته الأولى تحمل مفاجأة مذهلة لهما..

كوچاك: مرحبًا أيها المغامران..!! أنتما إذن «عاطف» و«توفيق».. أو«تختخ» كما يطلق عليك بقية الأصدقاء.

كانت كلمات «كوچاك» قد صعقت «تختخ» و«عاطف» تمامًا.. أذهلتهما المفاجأة.. كيف عرف «كوچاك» بأمرهما؟

أكمل كوچاك: لا تندهشا.. فلن تصدقا أنني أعرف عنكما الكثير.. واسمحا لي أن أبدي إعجابي بذكائكما وشجاعتكما.. فقد سمعت عن المغامرين الخمسة كثيرًا..

وأعرف أيضًا أنكم قد قمتم بمساعدة الشرطة في حل الكثير من الألغاز المعقدة.. والجرائم الغامضة!!

تأكد «تختخ» و«عاطف» أنهما أمام رجل ذكي وداهية.. ولديه من المواهب الخاصة التي تؤهله ليدير عصابة خطيرة وليس مجرد كهف به بعض الصبية الصغار من محترفي التسول والنشل.

أكمل كوچاك حديثه في هدوء: ولكني أعتقد أن من المجازفة غير المحسوبة أن تفكرا في الوصول إلى هنا.. والدخول إلى كهفي.. والاطلاع على أسراري.. وهذه الطفلة الصغيرة «أميرة» لم تعد الآن هي محور المشكلة!!

قاطعه «تختخ»: دعنا نرحل ومعنا «أميرة».. فهي سبب تواجدنا هنا.. وما أتينا من أجله.

ضحك كوچاك في سخرية: ومعكما «زنجر» أيضًا.. أليس كذلك؟. إنها فكرة رائعة.. وسوف أوصلكم بسيارتي أيضًا.. إنه كلب ذكي وشجاع.. لقد حاولت اليوم أن ألاطفه.. ولكنه كاد أن يفتك بي!

عاطف: حسنًا.. اسمعنا جيدًا.. يجب أن تعلم أن هناك من يعلم بوجودنا هنا.. ونحن على اتفاق معهم

إن لم نعد حتى مساء اليوم فسوف يقومون بإبلاغ الشرطة.

ضحك كوچاك: إنها حيلة قديمة ومستهلكة أيضًا أيها الولد الذكي.. وكل دقيقة تمر في الحديث معكما اكتشف أكثر.. أن المغامرين أذكياء!!

عربي: حسنًا يا زعيم.. ماهي أوامرك..؟ هل نرسلهما إلى المخزن الكبير!!

كوچاك: نعم.. فهناك لن يصل إليهما أحد.. وحين ننهي عملية الليلة.. سوف نتخلص منهما.. ونرحل..
أما «الملك» فقد ارتكب خطأ لا يمكن غفرانه وسوف ينال جزاء فعلته. أما «دُقْدُقْ» و«جلنط» فلن أرحمهما..

وانصرف «كوچاك» ..

تقدم «عربي» وأحد مساعديه يرفعان «تختخ» و«عاطف» عن الأرض ويدفعانهما للمشي بصعوبة.. بسبب أقدامهما المقيدة ثم خرجوا من أحد الأبواب السرية للمكان حيث كانت تقف سيارة نصف نقل سوداء بها صندوق حديدي مغلق تمامًا سوى من فتحة صغيرة رفيعة تسمح بدخول

الهواء لمن بداخله.. ثم دفع المغامرين داخل الصندوق.. وغلق الباب وسرعان ما عاد الظلام مرة أخرى..

وتحركت السيارة مبتعدة.. تاركة المكان الموحش الهادئ سوى من صوت «زنجر» القوي الحزين.. ومنطلقة إلى حيث لا يدريان..!!

* * *

كان النهار قد انتصف.. والمغامرون الثلاثة قد سيطر عليهم القلق والخوف.. لا رسائل ولا اتصالات هاتفية.. وتملكهم شعور أن «تختخ» و«عاطف» أصبحا في مأزق.. السكون يسيطر على المكان.

وفجاة هب «محب» واقفًا..

محب: حسنًا.. ليس هناك من وقت لإضاعته أكثر من ذلك.. علينا إبلاغ الشرطة.

نوسة: أعتقد أنها فكرة صائبة، فكل دقيقة تمر ليست في صالحنا.

محب: حسنًا يا «لوزة» عليك البقاء هنا.. لربما اتصل أحدهما بنا، وسوف نذهب أنا و«نوسة» إلى قسم الشرطة.

لـوزة: سوف أبقى.. ولكن عليكما الاتصال بي وإبلاغي عن تطورات الموقف!

محب: اتفقنا.. هيا يا «نوسة».

وانطلق الاثنان في اتجاه قسم الشرطة..

* * *

بذكاء المغامر حسب «تختخ» و«عاطف» الدقائق التي مرت بهما أثناء حركة السيارة لمحاولة تقدير المسافة التي سوف يقطعونها، وقد دس «تختخ» عينيه في ثقب صغيرة في مؤخرة الصندوق. يكاد يري بصعوبة السيارات التي حولهم.. وإن لم يكن يستطيع تحديد الطريق التي تسير به السيارة.. إشارات مرور متعددة.. وأصوات سيارات تحيط بهم.. إنهم لا يزالون في المنطقة المزدحمة بالمقطم.

تختخ: إننا لا نزال في منطقة المقطم.

عاطف: نعم، أعتقد إن المخزن الذي يتحدثون عنه ليس ببعيد عن مكان الكهف.

تختخ: نعم.. رغم الموقف الصعب الذي نحن به، فإنني أفكر في «زنجر» وما يحدث له!

عاطف: اطمئن.. فهوكلب ذكي.. وسوف يجد طريقه للخروج والهرب من محبسه.

توقفت السيارة بإحدى إشارات المرور.. جاء صوت أحد الرجال يقترب من السيارة.. محدثًا السائق و«عربي».. نظر «عاطف» من ثقب رفيع.. يرقب ما يحدث.

تختخ: أترى شيئًا..؟

عاطف: إنه أحد الباعة الجائلين.

الصوت: تفضلوا.. إنها دعاية لأحد المطاعم الجديدة.

يمد الرجل يده بإحدى الأوراق الملونة الخاصة بالدعاية..

عربي: ابتعد أيها الأبله.. أي مطعم الذي تتحدث عنه.. خذ هذه الأوراق السخيفة وارحل.

هنا حاول «تختخ» و«عاطف» أن يركلا جانب السيارة الحديدي بأقدامهما ولكن الصندوق كان مغلقًا بإحكام.. فلا يسمع لأصواتهما أثر ولا حتى لطرقاتهما وتضيع وسط الزحام والضجيج.

مد رجل الإعلان يده وأسقط ورقة دعاية ملونة من فتحة

الضوء الصغيرة التي بجانب الصندوق.. وتنطلق السيارة مرة أخرى..

رغم الموقف الخطير الذي كان يمر به المغامران.. إلا إن روح الدعابة لم تفارق «عاطف».. الذي علق قائلًا..

عاطف: كان من الأفضل أن يلقي إلينا بساندوتش بدلًا من هذه الورقة الحمراء!!

ابتسم «تختخ» هو الآخر..

* * *

في قسم الشرطة كان المكان هادئًا.. الشاويش «فُرْقُعْ». قد جلس خلف مكتبه منهمكًا في كتابة بعض الأوراق.. يتقدم منه المغامران..

محب: صباح الخير يا شاويش «علي».

يرفع نظره بهدوء وهو لا يزال ممسكًا بقلمه.. وما إن رأى «محب» و«نوسة» حتى ترك القلم ورفع يديه إلى شاربه الشهير بسخرية..

فُرْقُعْ: صباح الخير؟ كيف هي صباح الخير أيها الذكي.. وقد أصبحت الساعة الثانية عشرة والنصف؟

تقاطعه نوسة: اسمعنا يا شاويش «علي»، إن الأمر مهم وصعب.. وكل دقيقة تمر..

يقاطعها.. فُرْقُعْ: وكل دقيقة تمر خطر عظيم..

في جد وحزم.. محب: اسمعنا يا عم «فُرْقُعْ»... الأمر خطير حقًا.. أرجوك.. نريد أن نقابل المقدم «حسام نصار».. فورًا.

شعر «فُرْقُعْ» من جدية حديث «محب» أن الأمر خطير حقًا ترك شاربه ومد يده يعدل من هندامه وتقدم ناحية غرفة المأمور «حسام»، دق الباب ثم فتحه ودخل.. بينما وقف «محب» و«نوسة» وقد تملكهما القلق والخوف.

«فُرْقُعْ»: تفضلا..

دخل كل من «محب» و«نوسة» يتقدمان من «حسام» الذي قابلهما في ترحاب..

حسام: أهلًا أيها المغامران.

محب: صباح الخير أيها المقدم.. لقد أتينا في أمر عاجل وخطير.

ابتسم «حسام» في هدوء وقال: حسنًا.. تفضلا أولًا

بالجلوس. ماذا تشربان؟ أعرف من المفتش «سامي» أنكما تحبان عصير الليمون.

مد يده.. ورن الجرس.

محب: سيادة المقدم.. إن الوقت لا يتحمل شرب أي شيء.. إن كل دقيقة تمر..

حسام: اهدأ أيها المغامر الصغير.. نشرب عصير الليمون أولًا.. ثم نتحدث!

قال في ثقة مبتسمًا: لا تقلقا..

* * *

كان الهدوء يحيط بالسيارة التي تسير منذ أكثر من نصف ساعة وأصبح واضحًا أنها ابتعدت عن المنطقة السكانية.. ولم يعد يسمع سوى أصوات سيارات متباعدة.

تبادل «تختخ» و«عاطف» النظرات في الظلام.. لا يدريان إلى أين هما ذاهبان.. وأي مصير في انتظارهما..

وقعت أعين «تختخ» على الإعلان الملون الذي سقط في أرضية الصندوق بعد أن سقط عليه شعاع الضوء الرفيع من أحد الثقوب الضيقة.. مال «تختخ» ناحيته ويداه مقيدتان.. لا يستطيع أن يلتقطه.. اقترب أكثر من الإعلان.. هناك بعض

الكلمات الرفيعة مكتوبة باللغة الإنجليزية بخط اليد على أحد أطرافه.

دقق «تختخ» النظر.. إنها رسالة!

في صوت هامس قال تختخ: انظر يا «عاطف».. هناك بعض الكلمات الإنجليزية على الإعـلان.. كتبت بدقة متناهية الصغر!

اقترب «عاطف» بجسده النحيل.. وبدأ في قراءتها..

«لا تخافا.. إننا نسير خلفكما.. الكهف مراقب.. كذلك السيارة».

تقدم «تختخ» بصعوبة من الجانب الخلفي للصندوق.. دس عينيه من أحد الثقوب ودقق النظر.. وقعت عيناه على سيارة بيضاء تسير خلفهم.. إنها تتبعهم.. يقودها شخصان.

تقدم تختخ وهو لا يزال يراقب السيارة: فعلًا يا «عاطف».. هناك سيارة خلفنا..

عاطف: من المؤكد أن رجال الشرطة.. هم من ألقوا بهذه الورقة.. وقد كتبت كلماتها باللغة الإنجليزية حتى يصعب على رجال العصابة قراءتها.

في صوت متحشرج بينما يراقب الطريق قال تختخ: ماذا؟ لا أصدق..!!

عاطف: ماذا هناك؟

تختخ: هذا مستحيل!!

عاطف: ما هو المستحيل؟ أجبني..!

تختخ: لا لا.. غير معقول!

انتحي جانبًا.. فدس «عاطف» نظره في الثقب بدلًا منه..

عاطف: ما هذا..؟ معك حق.. لا يمكن.. أن يكون من يقود السيارة.. أليس هو؟!

في ذهول قال تختخ: الأستاذ «شاكر»!!

عاطف: «شاكر» الأعمى!

* * *

في ذلك الوقت في قسم الشرطة كان المقدم «حسام» لا يزال خلف مكتبه بينما «محب» و«نوسة» يجلسان أمامه.. وقد بدا عليهما الاطمئنان.

محب: إذن كانت كل هذه الأحداث تحت مراقبتكم منذ البداية.

حسام: بالطبع.. فكان بإمكاننا الوصول إلى «أميرة» التي نحن على يقين من براءتها.. ولكننا فضلنا أن نتركها هاربة.. أوكما هي تظن ذلك، كطعم للعصابة وللأعرج حتى يبدو كل شيء طبيعيًا.. ولكنها بالتأكيد كانت تحت حمايتنا.

نوسة: حقًا.. إنني فخورة بأداء رجال الشرطة.. إذن «تختخ» و«عاطف» بأمان سيادة المقدم..؟

بثقة قال حسام: بالتأكيد وهما تحت ملاحظة أحد أنشط وأذكى رجال المباحث الأكفاء.. العقيد «شاكر رشوان».. تعرفانه جيدًا!

محب: للأسف.. لم يسبق لنا التعرف عليه.

ضحك حسام وقال: ربما لم تسمعا اسمه من قبل.. ولكنكما تعرفانه جيدًا.. إنه صديقكم «شاكر».

تبادل «محب» و«نوسة» النظرات في دهشة..

وفي نفس واحد: الأستاذ «شاكر»! «شاكر» الأعمى!!

* * *

بعد أكثر من ساعة توقفت السيارة.. أطفأت محركها.. الهدوء يحيط بالمكان.. ليس هناك سوى أصوات كلاب

تنبح.. أصوات أبواب تفتح وتغلق في أحد الشوارع الفرعية شبه المهجورة.. وأمام بيت صغير قديم حجري تقدم «عربي» بصوته الغليظ.

عربي: كوبرا.. كوبرا..

فُتِح الباب! يطل منه رجل قصير القامة عريض الكتفين.

كوبرا: مرحبًا «عربي».. هل وصل الضيوف؟

عربي: ضيفان.. وهم عزيزان جدًا عند المعلم «كوچاك».. سيبقيان أمانة لديك حتى أوامر جديدة للمعلم!

ضحك كوبرا: على الرحب والسعة على الأقل سيؤنسان وحدتي ويقومان بأعمال التنظيف.. فالمكان لم ينظف منذ شهور طويلة!

تقدم الجميع وانفتح الباب الخلفي للسيارة، وما إن رأى «كوبرا»، «تختخ» و«عاطف»..

عربي: استلم.

كوبرا: ما هذا؟ طفلان؟ هل قرر المعلم «كوچاك» إقامة حضانة للأطفال بدلًا من تعليمهم النشل والتسول؟

أخذا يدفعان المغامرين بعنف للداخل.. وقبل أن يصل الجميع إلى باب المنزل الحديدي.. انشقت الأرض عن «شاكر» وزميله.. شاهرين أسلحتهما في وجه رجال «كوچاك».

بصوته العميق الحازم قال شاكر: إياكم والمقاومة.. أي محاولة للفرار ستقابل بمنتهى العنف.. فكوا وثائق الولدين.. هيا.. بسرعة..

صعقت المفاجأة رجال العصابة.. ويبدأ أحدهم في تنفيذ الأمر.

بينما تبادل «تختخ» و«عاطف» نظرات الإعجاب والفخر مع العقيد «شاكر» الذي كان يبتسم لهما في ثقة.

* * *

داخل الكهف.. لم يكن «كوچاك» ورجاله قد علموا أن «عربي» والآخرين قد تم القبض عليهم.. بينما وقفت «أميرة» وقد تم قيد يديها الصغيرتين وقد أصابها الضعف والخوف.

كوچاك: وأنت أيتها الصغيرة.. ألن تخبريني ما هي حكايتك؟ وماذا فعلت بـ «جلنط» حتى يكاد يفقد حياته في سبيل الحصول عليك؟

أميرة: سيدي لقد سبق وأخبرتك أنني لا أعرف شخصًا اسمه «جلنط».. ثم إن هذا القيد يمزق يدي.. من فضلك اجعلهم يفكون يدي.. واتركني أرحل من هنا.

كوچاك: ترحلين؟ يا لك من عبيطة!

سمع كوچاك صوت الدقات المتفق عليها في نغماتها المنتظمة على باب الكهف الحديدي.. ثم سمعها مرة أخرى.

كوچاك: افتحوا الباب.. إنه بالتأكيد «عربي» قد عاد.

ما إن فك أحدهم مزلاج الباب حتى انفتح بعنف شديد وكأن قنبلة قد انفجرت خلفه.. واندفع رجال الشرطة في ملابسهم الرسمية في شجاعة وسرعة حاملين أسلحتهم اللامعة.. شدة المفاجأة أصابت الجميع بالشلل التام..إلا «كوچاك» الداهية.. الذي سارع حاملًا «أميرة» بيده القوية.. وباليد الأخرى أخرج مسدسًا من طيات ملابسه وانطلق إلى دهاليز الكهف الذي يعرفه جيدًا.

جاء صوت مكبر الصوت يهز أرجاء الجبل:

لا داعي للمقاومة.. الجبل محاصر.. كذلك جميع مخارج الكهف!

* * *

في أحد جوانب الجبل.. ومن فتحة صغيرة تكاد لا تراها العين خرج «كوچاك» بجسمه النحيل الذي يشبه جسم الثعبان.. ومد يده ليجذب «أميرة» التي لا حول لها ولا قوة.. ويخرجها هي الأخرى.. ولكنه قبل أن يتحرك خطوة واحدة.. شعر ببرودة لاسعة خلف رقبته!! إنها فوهة مسدس أحد رجال الشرطة الذي كان بانتظاره فور خروجه..

قال شاكر: في هدوء وثقة.. أسقط سلاحك يا «كوچاك».. اترك الفتاة بسلام.. وإلا!!

* * *

في اليوم التالى وفي الحديقة الرئيسية بنادي «المعادي» العريق.. حيث انتشرت المقاعد والموائد.. وبالمنصة جلس رئيس النادي وبجانبه كان العقيد «شاكر» والمقدم «حسام» وأمامهما كعكة كبيرة كتب عليها «مرحبًا أميرة» وقد بدا على الجميع السعادة والفرح، وفي الصف الأمامي كانت تجلس «أميرة» وقد ارتدت ملابسها الأنيقة ممسكة بيد أبيها وأمها الجالسين بجوارها وفي الجانب الآخر تمسك بيد «لوزة»

التي جلست على جانبها وبجوارها باقي المغامرين الخمسة وأسرهم.. وقد كان الجميع سعداء أن تمكن رجال الشرطة من الوصول إلى والدي «أميرة» ولم شمل الأسرة مرة أخرى.

وقف رئيس النادي يلقي كلمته:

السادة الأعضاء.. اسمحوا لي نيابة عن كل أطفال «مصر» أن أرحب بالعضوة الجديدة «أميرة» وأن نقدم خالص الشكر والتحية إلى رجال الشرطة الأكفاء..الساهرين على خدمة وطننا العزيز.. وتحية خاصة إلى المغامرين الخمسة أبناء «المعادي» الذين ساهموا في إنقاذ مئات الأطفال من التشرد والضياع.. وعرضوا أنفسهم للخطر لمساعدة رجال الشرطة.

اندفع الحاضرون في تصفيق حاد.. وهنا تكون مفاجأة الحفل.. بحضور ضيف لم يكن أحد يتوقع حضوره.. رجل يحبه المغامرون كثيرًا.. إنه المفتش «سامي».. الذي ظهر مرتديًا نظارته الشمسية السميكة وبدلته السوداء الأنيقة.. يندفع المغامرون نحوه في حب مؤثر.. خاصة «لوزة» التي تمطره بوابل من القبلات الحارة.

وكانت المفاجأة الكبرى أنه كان ممسكًا بيده ولدًا أنيقًا وعلى وجهه ابتسامة خجولة، ما إن رأه المغامرون حتى صاحوا في نفس واحد..

من؟ «الملك»؟

المفتش: لا.. «صالح» فقد أنقذناه من أيدي العصابة الشريرة وانضم إلى حياة الشرفاء.

ضحك الجميع واندفعوا إلى تحية صديقهم الجديد..

* * *

تمـــــت